المُغني في التّفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحرِّرُ الجَامِعُ لِتفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وتَرْجِيحَاتٍ وتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاءِ رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

(المجلَّدُ الحادي والعشرونَ)

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتِرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.
لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الشُّعَراءِ

سُورةُ الشُّعَراءِ

سورةُ الشُّعَراءِ

سُمِّيت هذه السورةُ بسُورةِ (الشُّعَراءِ).[1]

سورةُ الشُّعراءِ مكِّيَّة.[2]

مِن أهمِّ المقاصدِ التي تَضمَّنَتها سورةُ الشُّعراءِ:

1- التَّنويهُ بالقرآنِ الكريمِ، والتَّعريضُ بعَجزِ المشركِينَ عن مُعارَضتِه.

---

(1) سُمِّيت سورةَ الشعراءِ؛ لأنَّها تفرَّدت من بينِ سور القرآنِ بذكرِ كَلمةِ الشعراء، فاختُتِمت بذِكرِهم في قَولِه تعالى: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ [الشعراء: 224].

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (344/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (89/19).

وقد ورَدتْ تسميتُها بذلك في بعضِ الآثارِ عن ابنِ عبَّاسٍ وابنِ الزُّبَيرِ رضي الله عنهم.

يُنظر: ((الدر المنثور)) للسيوطي (288/6).

(2) القولُ بأنَّها مكيةٌ كلها نسَبه ابنُ عطيةَ إلى جمهورِ الناسِ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (224/4).

وقيل: السورةُ مكيةٌ غيرَ آيتينِ، فإنَّهما مدنيَّتانِ: قولُه تعالى: أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ ... الآيةَ، وقولُه تعالى: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ....

وقيل: مكيَّةٌ إلَّا أربعَ آياتٍ منها نزَلت بالمدينةِ، من قَولِه تعالى: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ [الشعراء: 224] إلى آخِرها.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (257/3)، ((تفسير الماوردي)) (163/4)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (288/6).

2- تَسليةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عمَّا يُلاقيه مِن إعراضِ قَومِه.

مِن أبرزِ الموضوعاتِ التي تناولَتها سورةُ الشُّعراءِ:

1- بيانُ سموِّ منزلةِ القرآنِ، وذكرُ موقفِ المشركينَ مِن الرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، وتسليتُه عمَّا يُلاقيه مِن إعراضٍ منهم.

2- ذِكرُ جُملةٍ مِن خَبَرِ الرسُلِ مع أقوامِهم وما لاقَوه منهم.

3- ذكرُ جانبٍ مِن قِصَّةِ نبيِّ الله موسى وأخيه هارونَ عليهما السلامُ، معَ فرعونَ، وقصةِ السَّحَرةِ، وما آلَ إليه الأمرُ مِن غرقِ فرعونَ وجنودِه، ونجاةِ موسَى عليه السلامُ ومَن معه.

4- ذكرُ جانبٍ مِن دعوةِ نبيِّ الله إبراهيمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لأبيه وقومِه.

5- ذكرُ جانبٍ مِن قِصَّةِ نبيِّ الله نوحٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ودعوتِه قَومَه، وما آلَ إليه الأمرُ مِن إغراقِ المكَذِّبينَ، وتنجيةِ المؤمنينَ.

6- ذكرُ قِصَّةِ نبيِّ الله هودٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ودعوتِه لقومِه؛ وبيانُ العاقبةِ التي انتهَى إليها المكَذِّبون منهم.

7- ذكرُ قِصَّةِ نبيِّ الله صالحٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ودعوتِه لِقَومِه، وما ترتَّب على عَقرِهم الناقةَ مِن نزولِ العذابِ بهم.

8- ذكرُ قِصَّـةِ نبيِّ الله لوطٍ عليه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ، ودعوتِه لِقَومِه، وما حصـل منهم مِن إعراضٍ، فنجَّاه اللهُ منهم وأهلَكَهم.

9- ذكرُ قِصَّةِ نبيِّ الله شُعَيبٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مع قَومِه، وما لَحِقهم مِن العذابِ جرَّاءَ تكذيبِهم.

10- التنويهُ بنزولِ القُرآنِ الكريمِ، وشهادةُ أهلِ الكتابِ له، وأنَّه مُنزَّهٌ عن أن يكونَ شِعرًا أو مِن أقوالِ الشياطينِ، وأمرُ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بإنذارِ عَشيرتِه، وبيانُ أنَّ العَذابَ مُنقَلَبُ الذين يَظلِمون.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (1–9)

طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنْ
نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ
الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ (6) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)

غَريبُ الكَلِماتِ:

بَاخِعٌ: أي: قاتِلٌ، قيل: البَخْعُ: أن يبلُغَ بالذَّبحِ البِخاعَ، وهو عِرقٌ مستبطِنٌ القَفا، وذلك أقصَى حدِّ الذَّبحِ، وأصلُ (بخع): يدُلُّ على القَتلِ.

خَاضِعِينَ: أي: ذَليلينَ، وأصلُ (خضع): يدُلُّ على تطامُنٍ في الشَّيءِ.

مُحْدَثٍ: أي: مُجَدَّدٍ إنزالُه، وأصلُ (حدث): يدُلُّ على كَونِ الشَّيءِ بعدَ أنْ لم يكُنْ.

زَوْجٍ كَرِيمٍ: أي: صِنفٍ ونوعٍ حسنٍ، وكلُّ شيءٍ شرُف في بابِه فإنَّه يُوصَفُ بالكرمِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

طسم (1).

هذه الحروفُ المقطَّعةُ التي افتُتِحَت بها هذه السُّورةُ وغيرُها، تأتي لبيانِ إعجازِ القرآنِ؛ حيثُ تُظهِرُ عجْزَ الخَلْقِ عن معارضتِه بمثلِه، مع أنَّه مركَّبٌ مِن هذه الحروفِ العربيَّةِ التي يتحدَّثونَ بها.

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2).

أي: تلك آياتُ القرآنِ البَيِّنِ، الواضِحِ صِدقُه، المُظهِرِ ببَيانِه ما فيه مِن الهُدى والحقِّ.

لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3).

أي: لعلَّك[3] -يا محمَّدُ- مُهلِكٌ نفْسَك غمًّا وأسَفًا؛ لعَدَمِ إيمانِ قَومِك بما جِئتَهم به مِن الحَقِّ، فلا تُهلِكْ نفْسَك بحُزنِك عليهم؛ فما عليك إلَّا البلاغُ، واللهُ يَهدي مَن يشاءُ.[4]

كما قال تعالى: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا [الكهف: 6].

وقال سُبحانَه: وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [لقمان: 23].

---

(3) قال ابن عطية: (وخُوطِب بـ «لعل» على ما في نفوسِ البشَرِ مِن توقُّعِ الهلاكِ في مِثلِ تلك الحالِ، ومعنى الآيةِ أي: لا تَهتَمَّ -يا محمَّدُ- بهم، وبلِّغْ رسالتَك، وما عليك مِن إيمانِهم؛ فإنَّ ذلك بيدِ الله، لو شاء لآمَنوا).
((تفسير ابن عطية)) (224/4).
وقال ابن عاشور: (و«لعَلَّ» إذا جاءت في ترجِّي الشيءِ المَخُوفِ سُمِّيت إشفاقًا وتوقُّعًا).
((تفسير ابن عاشور)) (93/19).
وقال ابن عثيمين: («لعلَّ»...
هنا للإشفاقِ، مثلُ أن تقولَ: «لعلَّ الحبيبَ هالكٌ»، فلا يمكِنُ أن يكونَ قَصدُك ترجِّيَ أن يَهلِكَ حَبيبُك، لكِنَّك تُشفِقُ.
واللهُ تعالى أشفقَ على نبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من أن يُهلِكَ نفْسَه -يقتُلها مِن الغَمِّ- بسببِ عدمِ إيمانِهم، والرَّسولُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يُعاني مِن عدمِ إيمانِهم، ومِن المشقَّةِ الشَّديدةِ، ويَحزَنُ، ويَضيقُ صَدرُه).
((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 20).
(4) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (543/17)، ((تفسير السمرقندي)) (549/2)، ((تفسير القرطبي)) (89/13)، ((تفسير ابن كثير)) (135/6)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (6/14)، ((تفسير السعدي)) (ص: 589).
وقال البقاعي: (فكان كأنَّه قيل: هذا الكتابُ في غايةِ البيانِ في نفْسِه والإبانةِ للغيرِ، و...
أنَّه ليس عليك إلَّا البلاغُ، أتخافُ وتُشفِقُ على نفْسِك من الهلاك غمًّا؛ تأسفًا على عدمِ إيمانِهم، والحالُ أنَّا لو شئنا لهديناهم طَوعًا أو كَرهًا، والظَّاهِرُ أنَّ جملةَ الإشفاقِ في موضِعِ حالٍ من اسمِ الإشارة، كما أنَّ الآيةَ التي بعْدَها في موضعِ الحالِ منها، أي: نحن نشيرُ إلى الآياتِ المبيِّنةِ لمُرادِنا فيهم، والحالُ أنَّك -لمزيدِ حِرصِك على نفعِهم- بحالِ يُشفِقُ فيها عليك مَن لا يعلَمُ الغَيبَ مِن أن تقتُلَ نفْسَك غمًّا لإبائِهم الإيمانَ، والحالُ أنَّا لو شِئْنا أتَيْناهم بما يَقهَرُهم ويُذِلُّهم للإيمانِ وغيرِه).
((نظم الدرر)) (7/14).

وقال عزَّ وجلَّ: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ [فاطر: 8].

إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4).

أي: لو شِئْنا لأنزَلْنا على هؤلاءِ الكُفَّارِ مُعجِزةً ظاهِرةً مِن السَّماءِ تَضطرُّهم إلى الإيمانِ، فينقادوا للحقِّ قَهرًا، ولكِنْ أراد اللهُ بحكمتِه أن يكونَ إيمانُ كُلِّ أحدٍ اختياريًّا.[5]

(5) اختُلِفَ فيما عنى الله بقوله: ﴿فظلت أعناقهم﴾؛ فقيل: الجارحة المعلومة، أي: أعناق الرجال الذين نزلت عليهم الآية من السماء.

وقيل: أراد بالأعناق: الكبراء والسادة.

وقيل: الأعناق: الجماعة من الناس.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٧/ ٥٤٨) القول الأول مستندًا إلى اللغة، وأقوال أهل التأويل، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق: هي أعناق الرجال.

وأن يكون معنى الكلام: فظلت أعناقهم ذليلة للآية التي يُنزلها الله عليهم من السماء».

وعلّق ابنُ عطية (٦/ ٤٧٠ - ٤٧١) على القول الأول، فقال: «فعلى هذا التأويل ليس في قوله: ﴿خاضِعِينَ﴾ موضع قول».

وقال: «فمعنى هذا التأويل: أن نتكلم على قوله: ﴿خاضِعِينَ﴾ كيف جُمِعَ جمْعَ مَن يعقل؟ وذلك متخرج على نحوين من كلام العرب: أحدهما: أنّ الإضافة إلى مَن يعقل أفادت حُكْمَه لِمَن لا يعقل، كما تفيد الإضافة إلى المؤنث تأنيث علامة المذكر، ومنه قول الأعشى:

كما شرقت صدر القناة من الدم

وهذا كثير.

والنحو الآخر: أنّ الأعناق لَمّا وُصِفَت بفعل لا يكون إلا مقصود البشر، وهو الخضوع، إذ هو فعل يتبع أمرًا في النفس؛ جُمِعَت فيه جمع من يعقل.

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿أَتَيْنا طائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]».

كما قال تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ [يونس: 99، 100].

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5).

أي: وإذا أتى الكُفَّارَ قُرآنٌ[6] حَديثُ النُّزولِ مِن الرَّحمنِ؛ لِيَتذكَّروا ويتَّعِظوا ويتَّبِعوه، أعرَضوا عنه، فلم يُؤمِنوا به ولم يتدَبَّروه![7]

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (6).

أي: فقد كذَّب الكُفَّارُ بالقُرآنِ الذي جاءهم مِن عندِ اللهِ، فسيأتيهم في المُستقبَلِ صِدقُ أخبارِ القُرآنِ الذي استَهزؤوا به؛ من هَلاكِهم، ونَصرِ اللهِ نبيَّه، والبَعثِ في الآخرةِ، ودُخولِهم النَّارَ.

---

(6) ذكر ابنُ عطية (٦/ ٤٧١) في معنى الذكر أن المراد به: محمد – ﷺ –.

ثم علّق عليه، فقال: «وقالت فرقة: يحتمل أن يريد بـــ» الذكر «: محمد – ﷺ –، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠]، فيكون وصفه بالمحدث مُتَمَكِّنًا».

يعني: فيكون وصف الذكر بالمحدث –على القول بأنه محمد – ﷺ – له نفسه على الحقيقة، لا يحتاج إلى تأويل؛ بخلاف القول بأنه القرآن فإنه يحتاج إلى أن يقال: محدث الإتيان، أي: مجيء القرآن للبشر كان شيئًا بعد شيء، لا هو في نفسه.

ثم رجّح القول الأول لأنّه الأفصح بقوله: «والقول الأول أفصح».

(7) قال ابن عثيمين: (وهذا الإعراضُ معنويٌّ وحِسيٌّ، يشملُ الأمرين؛ فهم مُعرِضون وإن حضَروا بأبدانهم، ومُعرِضون أيضًا بأبدانِهم يقومون عنه، قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ [فصلت: 26]، فهم معرضون –والعياذُ بالله– في قلوبِهم وأبدانِهم).

((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 29).

ويُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 589).

كما قال تعالى: وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [الأنعام: 66، 67].

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7).

أي: أولم يرَ[8] أولئك المُشرِكون إلى الأرضِ، فيتفكَّروا في كثرةِ ما أنبَتْنا فيها مِن الأصنافِ الطيِّبةِ الحَسَنةِ النَّافعةِ؟!

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8).

(8) قال ابنُ عثيمين: (تحتَمِل المعنيَين؛ الرؤيةَ الحِسِّيَةَ: إذا نظَر بعَينِه هو.
والعِلميَّةَ: إذا عَلِمَ بذلك مِن غيرِه؛ لأنَّ هناك أشـــياءَ لا نعلَمُها مِمَّا يَنبتُ في الأرض، يعني: لا نراها ولكِنَّنا نُخبَرُ بها، فالأولَى أن يقال: إنه شامِلٌ للنظرِ بالعَينِ، والنظَرِ بالقلبِ الذي هو العِلمُ).
((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 32).
مِمَّن اختار أنَّ المعنَى: أوَ لم يَنظُروا: السمرقنديُّ، والكرماني، والبيضاوي، والشوكاني، والألوسي.
يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (550/2)، ((تفسير الكرماني)) (828/2)، ((تفسير البيضاوي)) (133/4)، ((تفسير الشوكاني)) (110/4)، ((تفسير الألوسي)) (61/10).
وقال القرطبي: (قوله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ نبَّه على عظَمتِه وقدرتِه، وأنَّهم لو رأوا بقلوبِهم، ونظَروا ببصائرِهم لعَلِموا أنَّه الذي يَستحقُّ أنْ يُعبَدَ؛ إذ هو القادرُ على كلِّ شيءٍ).
((تفسير القرطبي)) (90/13).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.

أي: إنَّ في إحياءِ الأرضِ وإنباتِها بعدَ موتِها لَدَلالةً على قُدرةِ اللهِ على إحياءِ الموتى.(9)

كما قال تعالى: وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ [يس: 33 – 36].

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: وما أكثَرُ هؤلاءِ المُشرِكين بمؤمنينَ باللهِ تعالى وآياتِه.(10)

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس: 96، 97].

وقال سُبحانَه: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [يوسف: 103].

وقال عزَّ وجلَّ: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ [هود: 17].

---

(9) قال البقاعي: (إِنَّ فِي ذَلِكَ أي: الأمرِ العَظيمِ مِن الإنباتِ، وما تقَدَّمَه مِن العِظاتِ على كثرتِه لَآيَةً أي: عَلامةً عظيمةً جدًّا لهم على تمامِ القُدرةِ على البَعثِ وغيرِه، كافيةً في الدعاءِ إلى الإيمانِ، والزَّجرِ عن الطُّغيانِ).
((نظم الدرر)) (11/14).

(10) قال ابن عثيمين: (قال: وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ فلا ينتَفِعُ بالآيةِ إلَّا المؤمنُ، فإذا لم ينتفِعْ بها أحدٌ ما صارت بالنسبةِ إليه آيةً؛ ولهذا قيَّدَها بقولِه: وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ أي: لا ينتفِعون بها).
((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 35).

وقال تبارك وتعالى: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [يس: 7].

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9).

أي: وإنَّ ربَّك –يا محمَّدُ– لهُو القويُّ الغالِبُ، القاهِرُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعِقابِه، ويقبَلُ تَوبةَ مَن آمَنَ به، وينَجِّي أولياءَه مِن عَذابِه.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (10–22)

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22)

غَريبُ الكَلِماتِ:

عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أي: اتَّخذْتَهم عبيدًا، وعَبَّدتُ فلانًا: إذا ذلَّلْتَه، وإذا اتَّخَذْتَه عبدًا، وأصلُ (عبد): يدُلُّ على لِينٍ وذُلٍّ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10).

أي: واذكُرْ–يا محمَّدُ– حينَ كلَّم اللهُ موسى وأمَرَه أن يذهَبَ إلى الظَّالِمين لأنفُسِهم بالكُفرِ والمعاصي، والظَّالِمين لبني إسرائيلَ باستعبادِهم واضْطِهادِهم وسَومِهم سوءَ العَذابِ.(11)

كما قال تعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ [القصص: 4].

وقال عزَّ وجلَّ: فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [القصص: 29 – 32].

---

(11) قال الشوكاني: (ووَصْفُهم بالظُّلمِ؛ لأنَّهم جَمَعوا بينَ الكفرِ الَّذي ظَلَموا به أنفسَهم، وبينَ المعاصي الَّتي ظَلَموا بها غيرَهم؛ كاستعبادِ بني إسرائيلَ، وذبحِ أبنائِهم).
((تفسير الشوكاني)) (110/4).

وقال سُبحانَه: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى [النازعات: 15 – 17].

قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11).

أي: اذهَبْ إلى القَومِ الظَّالمِينَ، وهم قَومُ فِرعونَ القِبطُ، فقُلْ لهم: ألَا تتَّقونَ اللهَ وتخافونَ عِقابَه، فتُؤمِنوا به وتَترُكوا ظُلْمَ عِبادِهِ؟

كما قال تعالى: اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى [النازعات: 17 – 19].

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12).

أي: قال موسى: ربِّ إنِّي أخافُ أن يكَذِّبَني فِرعَونُ وقَومُه، ولا يصَدِّقوا أنِّي رَسولُك إليهم.

وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13).

وَيَضِيقُ صَدْرِي.

أي: ويَضيقُ صَدري بسَبَبِ تَكذيبِهم إيَّاي، فلا ينشَرِحُ.

وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي.

أي: ويَنحَبِسُ لساني عندَ مُخاطَبَةِ فِرعَونَ،[12] فلا أستطيعُ أن أُبِينَ له ما أرسَلْتَني به.

كما قال تعالى: قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي [طه: 25 – 28].

فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ.

أي: فأوحِ –يا رَبِّ– إلى أخي هارونَ؛ لِيَكونَ رَسولًا معي فيُعينَني.

---

(12) قال ابن عثيمين في قوله: وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي وما كان في لسانِ موسى عليه السلامُ مِن عُقدةٍ قال: (يحتملُ أنَّ العُقدةَ [أي: التي كانت في لسانِه] معنويَّةٌ، بمعنى أنَّه لا يستطيعُ التعبيرَ بانطلاقٍ وفصاحةٍ.
وقوله: وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي [طه: 27، 28]، وقول فرعون في وصفه الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ [الزخرف: 52] يحتمِلُ –وهو الأقربُ– أن تكونَ فيه لُثغةٌ، إمَّا سرعة القولِ بنُطقِ الحروفِ، بحيث تتابَعُ الحروفُ حتى لا تفهَمَ؛ لأنَّ مِن الناس مَن يكونُ كذلك، ليس في لسانِه عُقدةٌ حِسِّيَّةٌ، لكنْ تترادفُ الحروفُ في كلامِه بحيث لا تدري ما يقولُ.
أو لأنَّه فيه لُثغةٌ لا تتبيَّنُ الحروف مِن كلامِه، وكل هذا محتملٌ، وهذه العقدةُ ليست كما ذُكِرَ مِن الجَمرةِ، وأنَّ لها أثرًا حِسيًّا يمنعُه مِن الكلامِ، بل هي أثرٌ خِلْقي، يعني بأصلِ الخِلقةِ.
ويحتملُ أنَّها جَهلُ البيان، يعني: ليس فصيحًا في خِطابِه وبيانِه وإقناعِه، لكِنِ الأوَّلُ أَولى، وأنَّها عقدةٌ معنويَّةٌ، وذلك بصفةِ الكلامِ، بحيث لا تتبيَّنُ الحروفُ في كلامِه؛ إمَّا لعجَلتِه، وإما للثغته، أو غير ذلك).
((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 45، 46).
وقال ابن عاشور: (وعَطْفُ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي على يَضِيقُ صَدْرِي يُنبِىءُ بأنَّه أراد بضيقِ الصَّدرِ تكاثُرَ خواطِرِ الاستدلالِ في نفْسِه على الَّذين كذَّبوه ليُقْنِعَهم بصِدقِه، حتَّى يُحِسَّ كأنَّ صدرَه قد امتلأ، والشَّأنُ أنَّ ذلك يَنقُصُ شيئًا بعدَ شيءٍ بمِقدارِ ما يُفصِحُ عنه صاحِبُه مِن إبلاغِه إلى السَّامعينَ، فإذا كانت في لسانِه حُبسةٌ وعِيٌّ بَقِيَت الخواطِرُ مُتلَجلِجةً في صدرِه).
((تفسير ابن عاشور)) (106/19).
ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (552/17)، ((البسيط)) للواحدي (27/17)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 480)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (87/6).

كما قال تعالى: وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى [طه: 29 – 36].

وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14).

أي: ولِقَومِ فِرعَونَ دَعوى ذنْبٍ يَطلُبونَني بها؛ لِقَتلي منهم رجُلًا، فأخشَى أن يقتُلوني به.

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15).

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا.

أي: قال اللهُ لموسى: لن يَقتُلَك قَومُ فِرعَونَ، فاذهَبْ أنت وأخوك هارونُ إليهم بمُعجِزاتِنا الدَّالَّةِ على صِدْقِكما.

كما قال تعالى: قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ [القصص: 35].

إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ.

أي: إنِّي معكما بالتَّأييدِ والحِفظِ، أسمَعُ ما ستَقولانِ لفِرعَونَ وقَومِه، وما سيَرُدُّون به عليكما.

كما قال تعالى: قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى [طه: 45، 46].

فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16).

أي: فَأْتِيا –أنت وهارون– إلى فِرعَونَ فقُولَا له: إنَّا مُرسَلانِ إليك مِن خالِقِ ومالِكِ ومُدَبِّرِ العالَمينَ.

كما قال سُبحانَه: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الزخرف: 46].

أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17).

أي: إنَّا رَسولُ رَبِّ العالَمينَ إليك بأنْ تُطلِقَ –يا فِرعَونُ– بني إسرائيلَ مِن قَهرِك وعَذابِك، وتترُكَهم يسيرونَ معنا إلى الأرضِ المقَدَّسةِ؛ لِيَعبُدوا اللهَ ويُقيموا دينَه.

كما قال تعالى: فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ [طه: 47].

وقال سُبحانَه: وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [الأعراف: 104–105].

وقال تعالى: وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [الدخان: 17، 18].

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18).

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا.

أي: قال فِرعَونُ لموسى: ألم نَقُمْ بتربيتِك منذُ كنتَ صَغيرًا في المَهدِ؟

وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ.

أي: ومَكثْتَ عندَنا سِنينَ كثيرةً مِن عُمُرِك تتنعَّمُ بخَيراتِنا!

وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19).

وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ.

أي: وقتلْتَ رجُلًا منَّا مِن القِبطِ كما تَعلَمُ.

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

أي: والحالُ أنَّك مِن الجاحِدينَ لِنعمَتِنا عليك؛ حيث جازَيْتَنا على تَربيتِنا لك بقَتلِ رجُلٍ مِنَّا![13]

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20).

(13) اختلف السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿وأنت من الكافرين﴾ على قولين: الأول: أنّ المراد به: أنت من الكافرين بالله على ديننا.

وهو قول السدي -من طريق أسباط- وغيره.

الثاني: أنت من الكافرين بنعمتنا.

وهو قول ابن عباس، وابن زيد وغيرهما.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٧/ ٥٥٦) مستندًا إلى الدلالة العقلية القول الثاني، وعلّل ذلك بقوله: «لأنّ فرعون لم يكن مُقِرًّا لله بالربوبية، وإنما كان يزعم أنه هو الرب».

ثم انتقد القول الأول، فقال: «فغير جائز أن يقول لموسى -إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتيل على ما قاله السدي-: فعلت الفعلة وأنت من الكافرين، [و] الإيمان عنده: هو دينه الذي كان عليه موسى عنده».

ثم وجّهه بقوله: «إلا أن يقول قائل: إنما أراد: وأنت من الكافرين يومئذ -يا موسى- على قولك اليوم، فيكون ذلك وجهًا يتوجه».

وقال ابنُ عطية (٦/ ٤٧٤ - ٤٧٥): «وقوله: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الكافِرِينَ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: أن يريد: وقتلت القبطي وأَنتَ في قتلك إيّاه مِنَ الكافِرِينَ؛ إذ هو نفس لا يحل قتله.

قاله الضحاك، أو يريد: وأنت من الكافرين بنعمتي في قتلك إياه.

قاله ابن زيد.

وهذان بمعنًى واحد في حق لفظ الكفر، وإنما اختلفا باشتراك لفظ الكفر.

والثاني: أن يكون بمعنى الهزؤ؛ أي: وأنت على هذا الدين، وأنت من الكافرين بزعمك.

قاله السدي.

والثالث: هو قول الحسن، أن يريد: وأنت من الكافرين الآن، يعني فرعون: بالعقيدة التي يكون بيّنها، فيكون الكلام مقطوعًا من قوله: ﴿وفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾، وإنما هو إخبارٌ مبتدأٌ أنّه كان من الكافرين.

وهذا التأويل أيضًا يحتمل أن يريد به: كفر النعمة».

أي: قال موسى مُجيبًا لفِرعَونَ: قتلتُ القِبطيَّ خَطأً وأنا مِن الجاهِلينَ، قبْلَ أن يُوحيَ اللهُ إلَيَّ بالرِّسالةِ.

كما قال تعالى: وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [القصص: 15، 16].

فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21).

فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ.

أي: فخرجتُ مِن بينِكم هاربًا منكم؛ خَوفًا مِن أن تقتُلوني بذلك القِبطيِّ.

كما قال تعالى: وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [القصص: 20، 21].

فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا.

أي: فأعطاني ربِّي عِلمًا.[14]

وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

أي: وجعَلَني ربِّي مِن جُملةِ رُسُلِه؛ لأُبلِّغَكم رسالتَه.

---

(14) قال الألوسي: (فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا أي: نبوَّةً أو عِلمًا وفَهمًا للأشياءِ على ما هي عليه، والأوَّلُ مرويٌّ عن السُّدِّي، وتأوَّل بعضُهم ذلك بأنَّه أراد عِلمًا هو مِن خواصِّ النبوَّةِ، فيكونُ الحُكمُ بهذا المعنى أخَصَّ منه بالمعنى الثاني).

((تفسير الألوسي)) (10/69).

ممن اختار أنَّ الحكمَ هنا بمعنى العلمِ والفهمِ في الجملةِ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والثعلبيُّ، والرازي، وجلالُ الدينِ المحليُّ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/260)، ((تفسير الثعلبي)) (7/161)، ((تفسير الرازي)) (24/496)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 481).

وقال البقاعي: (حُكْمًا أي: علمًا أعملُ به عملَ الحكَّامِ الحكماءِ).

((نظم الدرر)) (14/22).

وقال الشنقيطي: (قولُه: فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا، قال بعضُهم: الحُكمُ هنا هو النبوَّةُ، وممَّن يُروى عنه ذلك السُّدِّيُّ.

والأظهَرُ عندي: أنَّ الحُكمَ هو العِلمُ الذي علَّمَه الله إيَّاه بالوحْيِ.

والعِلمُ عندَ الله تعالى).

((أضواء البيان)) (6/91).

وذكر ابنُ عثيمين أن تفسيرَ الحُكمِ بالعلمِ تفسيرٌ له بلازمِه؛ لِأَنَّ مِن لازِمِ الحكمِ العلمَ.

((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 64، 65).

وممن اختار أنَّ المرادَ بالحكمِ: النبوةُ: يحيى بنُ سلام، وابنُ جرير، والواحدي، والبغوي، والخازنُ، والعليمي.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/499)، ((تفسير ابن جرير)) (17/559)، ((الوسيط)) للواحدي (3/352)، ((تفسير البغوي)) (3/464)، ((تفسير الخازن)) (3/323)، ((تفسير العليمي)) (5/54).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عطية)) (4/228).

وممن اختار أنَّ المرادَ: النبوةُ والعلمُ: السمعاني، والنسفي.

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (4/41)، ((تفسير النسفي)) (2/558).

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22).

أي: وتَمُنُّ عليَّ -يا فِرعَونُ- بتربيتِك لي وإنعامِك عليَّ، وقد اتَّخَذْتَ قَومي بني إسرائيلَ عَبيدًا لك، فكيف تَمُنُّ عليَّ بهذه النِّعمةِ أنِ استَعبدْتَ بني إسرائيلَ ولم تَستعبِدْني، فهذه ليست نِعمةً؟![15]

(15) للسلف في تفسير قوله: ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ قولان: الأول: أن ذلك خبر معناه: اعتراف من موسى – عليه السلام – بما لفرعون عليه مِن يد؛ إذ استعبد بني إسرائيل، وربّاه في بيته.

الثاني: أنّ ذلك استفهام غرضه الإنكار أن تكون هذه نعمة، كما في قول قتادة.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٧/ ٥٥٩ – ٥٦٠) القول الأول مستندًا للغة، والسياق، فقال: «يعني بقوله: ﴿وتلك نعمة تمنها علي﴾: وتلك تربية فرعون إيّاه، يقول: وتربيتك إيّاي، وتركك استعبادي كما استعبدت بني إسرائيل نعمةٌ منك تَمُنُّها عَلَيَّ بحق.

وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو: وتلك نعمة تمنها عَلَيَّ أن عبدت بني إسرائيل وتركتني، فلم تستعبدني، فترك ذكر: وتركتني؛ لدلالة قوله: ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ عليه، والعرب تفعل ذلك اختصارًا للكلام».

وعلّق ابنُ عطية (٦/ ٤٧٧) على القولين، فقال: «ولكل وجه ناحيةٌ مِن الاحتجاج؛ فالأول ماضٍ في طريق المخالفة لفرعون ونقض كلامه كله، والثاني مُبْدٍ مِن موسى – عليه السلام – أنه مُنصِف مِن نفسه، مُعْتَرِف بالحق، ومتى حصل أحد المجادلين في هذه الرتبة، وكان خصمه في ضدها؛ غلب المتصف بذلك، وصار قوله أوقع في النفوس».

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (499/2)، ((تفسير الزمخشري)) (306/3)، ((تفسير ابن كثير)) (138/6)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (22/14، 23)، ((تفسير السعدي)) (ص: 590)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 66).

قال يحيى بن سلام: (أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [الشعراء: 22] موسى بقولِه لِفرعونَ أراد ألَّا يُسوِّغَ عدوَّ اللهِ ما امتَنَّ به عليه، فقال: وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [الشعراء: 22] فاتخذْتَ قومي عبيدًا وكانوا أحرارًا، وأخذْتَ أموالَهم، فأنفقْتَ عليَّ مِن أموالِهم وربَّيْتني بها، فأنا أحَقُّ بأموالِ قَومي منك).

((تفسير يحيى بن سلام)) (499/2، 500).

وقال الزمخشري: (كرَّ على امتنانِه عليه بالتربية، فأبطَلَه مِن أصلِه، واستأصَلَه مِن سِنْخِه [أي: أساسِه]، وأبى أن يسمّيَ نعمَتَه إلَّا نِقمةً؛ حيث بيَّن أنَّ حقيقةَ إنعامِه عليه تعبيدُ بنى إسرائيلَ؛ لأنَّ تعبيدَهم وقَصْدَهم بذبحِ أبنائِهم هو السببُ في حصوله عنده وتربيتِه، فكأنَّه امتَنَّ عليه بتعبيدِ قَومِه إذا حَقَّقْتَ).

((تفسير الزمخشري)) (306/3).

وقال ابنُ كثير: (أي: وما أحسَـنْتَ إليَّ وربَّيتَني مقابلَ ما أسـأتَ إلى بني إسـرائيلَ، فجعَلْتَهم عبيدًا وخدَمًا، تُصَـرِّفُهم في أعمالِك ومشـاقِّ رعيَّتِك، أفَيَفي إحسـانُك إلى رجُلٍ واحدٍ منهم بما أسـأْتَ إلى مجموعِهم؟! أي: ليس ما ذكَرْتَه شـيئًا بالنِّسـبةِ إلى ما فعلْتَ بهم).

((تفسير ابن كثير)) (138/6).

وقال ابنُ عثيمين: (فكأنَّه يقولُ: تَرْكُ الظُّلمِ بالنِّســبةِ إليَّ لا يُعَدُّ نِعمةً؛ لأنَّ الإنســانَ ليس مســتحِقًّا له حتى نقولَ: إنَّه عفا عنه وتركَه...

لكِنْ هناك احتِمالٌ آخَرُ، فالإســاءةُ إلى قَومِه إســاءةٌ له، فكأنَّه يؤكِّدُ نفْيَ النعمةِ، يعني: أين النِّعمةُ وأنت قد عبَّدْتَ بني إســرائيلَ وهم قَومي، فإذا قُدِّرَ أنِّي سَلِمتُ مِن التعبيدِ والظلْمِ، فأنا فَردٌ مِن قبيلةٍ، وقَومي قد عبَّدْتَهم، فأين النِّعمةُ؟!...

يعني: يقولُ: أين النِّعمةُ التي أنعمْتَ بها عليَّ وأنت تُعَبِّدُ بني إســـرائيلَ؛ لأنَّ تعبيدَ بني إســـرائيلَ خِلافُ النعمةِ في الواقعِ، ومِن المعلومِ أنَّ موسى مِن بني إسرائيلَ، فتعبيدُ بني إسرائيلَ -وهم قومُه- إذلالٌ له، وهذا معنًى جيِّدٌ في الحقيقةِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 67، 68).

وذهَب الفَرَّاءُ وابنُ جريرٍ إلى أنَّ هذا الكلامَ مِن موسى عليه السلامُ على جهةِ الإقرارِ بالنِّعمةِ، كأنَّه يقولُ: نعمْ، تربيتُك نعمةٌ علَيَّ مِن حيث عبَّدْتَ غيري وترَكْتَني، ولكنْ لا يمنعُ ذلك صحَّةَ رسالتي.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (279/2)، ((تفسير ابن جرير)) (559/17، 560)، ((تفسير القرطبي)) (95/13).

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (23-37)

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ
مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26)
قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)
قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33) قَالَ لِلْمَلَإِ
حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
(35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

لِلْمَلَإِ: أي: أشرافِ النَّاسِ ووُجوهِهِم؛ لأنَّهم يَملؤون العيونَ منظرًا، والنُّفوسَ بهاءً وجَلالًا، وأصلُ (ملأ): يدُلُّ على الكَمالِ في الشَّيءِ.

أَرْجِهْ: أي: أخِّرْهُ، وأصلُ الإرجاءِ: التَّأخيرُ.

تَفسيرُ الآياتِ:

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23).

أي: قال فِرعَونُ مُنكِرًا مَعرِفتَه باللهِ: وما ربُّ العالَمين الذي تَزعُمُ -يا موسى- أنَّه أرسَلَك، وأنَّه يَستَحِقُّ العبادةَ؟!

كما قال تعالى: قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى [طه: 49].

وقال سُبحانَه حاكِيًا قَولَ فِرعَونَ: مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي [القصص: 38].

قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24).

أي: قال موسى: هو خالِقُ السَّمواتِ والأرضِ، ومالِكُهنَّ ومُدبِّرُهن وما بيْنَهنَّ، فإن كنتُم تُوقِنون حقًّا فأيقِنوا بأنَّ اللهَ هو الخالِقُ؛ لظهورِ ذلك بلا خَفاءٍ.

كما قال تعالى: قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [إبراهيم: 10].

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25).

أي: قال فِرعَونُ للَّذين حولَه مِن أشرافِ قَومِه: ألَا تَستَمِعون إلى ما يقولُه موسى، وتَعجَبون مِن قَولِه؟!

قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26).

أي: قال موسى: اللهُ الذي أدعوكم إلى عبادتِه هو ربُّكم الذي خلَقَكم وخلَقَ آباءَكم الذين مِن قَبْلِكم، ومالِكُكم ومدبِّرُ شؤونِكم، فكيف يمكِنُ أن يكونَ مَن سِوى اللهِ ربًّا؟![16]

قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27).

أي: قال فِرعَونُ مُتهَكِّمًا: إنَّ موسى الذي يزعُمُ أنَّه رسولٌ إليكم لا عَقلَ له، ويقولُ ما لا نعلَمُ حَقيقتَه!

قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28).

أي: قال موسى لفِرعَونَ وقَومِه: الَّذي أدعوكم إلى عبادتِه هو رَبُّ المشرِقِ والمَغرِبِ وما بيْنَهما وما يَحدُثُ فيهما، وليس مُلكُه ناقِصًا كمُلكِكم، فإن كانت لكم عُقولٌ تعرِفونَ بها صِحَّةَ كلامي، فآمِنوا باللهِ وحْدَه.

قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29).

أي: قال فِرعَونُ متهدِّدًا موسى عليه السَّلامُ: لئِنْ أصرَرْتَ -يا موسى- على عبادةِ مَعبودٍ غيري، لأُصَيِّرَنَّك مِن جُملةِ المحبوسينَ المعذَّبينَ في سُجوني.

---

(16) قال ابن جُزَي: (زاد موسى في إقامةِ الحُجَّةِ بقولِه: رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ؛ لأنَّ وجودَ الإنسانِ وآبائِه أظهَرُ الأدلَّةِ عندَ العقلاءِ، وأعظَمُ البراهينِ؛ فإنَّ أنفُسَهم أقرَبُ الأشياءِ إليهم، فيَستدِلُّون بها على وجودِ خالِقِهم).

((تفسير ابن جزي)) (90/2).

قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30).

أي: قال موسى عليه السَّلامُ لفِرعَونَ: أتسجُنُني حتَّى وإنْ أتيتُك بمُعجزةٍ ظاهرةٍ وبُرهانٍ قاطعٍ يُبِينُ لك صِدقي وصِحَّةَ ما جِئتُ به؟!

قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31).

أي: قال فِرعَونُ لموسى عليه السَّلامُ: فأْتِ بهذا الشَّيءِ المُبِينِ إن كنتَ صادقًا في دعْواك.

كما قال تعالى حاكيًا قولَ موسى عليه السَّلامُ وفِرعونَ: قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [الأعراف: 105، 106].

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32).

أي: فرمَى موسى عَصاهُ إلى الأرضِ، فانقلَبَت حَيَّةً ضَخمةً في غايةِ الوضوحِ لِمَن يَراها.

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33).

أي: وأخرَجَ موسى يَدَه -مِن فَتحةِ قَميصِه العُلويَّةِ مِن جِهةِ العُنُقِ- بيضاءَ تلمَعُ لجَميعِ الناظرينَ إليها في مجلِسِ فِرعَونَ.

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34).

قال فِرعَونُ للأشرافِ الذين مِن حَولِه: إنَّ هذا لساحِرٌ بارعٌ، ذو عِلمٍ ودِرايةٍ فائِقةٍ بالسِّحرِ، يُخيِّلُ إلى النَّاسِ أنَّ عصاهُ تنقَلِبُ حيَّةً، وأنَّ يَدَه تَصيرُ بَيضاءَ!

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35).

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ.

أي: يريدُ أن يُخرِجَكم مِن أرضِكم مِصرَ بسِحرِه[17].

فَمَاذَا تَأْمُرُونَ.

أي: قال فِرعَونُ لِمَن حَولَه: فماذا تُشيرونَ علَيَّ مِن الرأيِ في شَأنِه، وما نفعَلُه به؟!

---

(17) قال الرازي: (والمعنى: يريدُ أن يُخرِجَكم مِن أرضِكم بما يُلقيه بينَكم مِن العداواتِ، فيفَرِّق جَمْعَكم، ومعلومٌ أنَّ مُفارقةَ الوطنِ أصعَبُ الأمورِ، فنفَّرَهم عنه بذلك، وهذا نهايةُ ما يفعلُه المبطِلُ في التنفيرِ عن الحقّ).

((تفسير الرازي)) (501/24).

وقال ابن كثير: (أي: أراد أن يَذهَبَ بقلوبِ النَّاسِ معه بسببِ هذا، فيَكثُرَ أعوانُه وأنصارُه وأتباعُه، ويَغلِبَكم على دولتِكم، فيأخُذَ البلادَ منكم).

((تفسير ابن كثير)) (139/6).

وذهب ابنُ جريرٍ إلى أنَّ المعنى: يريدُ موسى أن يُخرِجَ خدَمَكم وعبيدَكم بني إسرائيلَ مِن أرضِكم.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (566/17، 567).

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36).

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ.

أي: قال الأشرافُ لفِرعَونَ مُشيرينَ عليه: أخِّرْ موسى وأخاه هارونَ وأمهِلْهما.

وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ.

أي: وابعَثْ -يا فِرعَونُ- في مُدُنِ مملكتِك مَن يجمَعونَ منها السَّحَرةَ إليك.

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37).

أي: يأتوك بجَميعِ السَّحَرةِ المَهَرةِ؛ ليُعارِضوا ما جاء به موسى.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (38 – 51)

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)

غَريبُ الكَلِماتِ:

لِمِيقَاتِ: الميقاتُ: الوقتُ المضروبُ، أو: القدرُ المحدَّدُ للفعلِ مِن الزمانِ أو المكانِ، وأصلُ (وقت): يدُلُّ على حَدِّ شَيءٍ في زَمانٍ.

تَلْقَفُ: أي: تبتَلِعُ، يقالُ: لَقِفتُ الشَّيءَ: إذا تناولْتَه بسُرعةٍ، سواءٌ في ذلك تناوُلُه بالفَمِ أو اليَدِ.

يَأْفِكُونَ: أي: يَكذِبون ويزَوِّرون، وأصلُ (أفك): يدُلُّ على قَلبِ الشَّيءِ وصَرفِه عن جِهتِه.

مِنْ خِلَافٍ: أي: مُخالفًا في قَطعِ ذلك منكم؛ يَدِه اليُمنى ورِجلِه اليُسرى، والعكس، يخالِفُ بيْنَ قَطعِهما.

لَا ضَيْرَ: أي: لا ضَرَرَ، مِن: ضارَّه يَضُوره ويَضِيرُه، بمعنى: ضَرَّه، والضَّيْرُ: المَضَرَّةُ، وأصلُ (ضرر): خِلافُ النَّفعِ.

مُنْقَلِبُونَ: أي: راجِعونَ، وأصلُ (قلب): يدُلُّ على صَرفِ الشَّيءِ مِن وجهٍ إلى وَجهٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38).

أي: فجَمَع الحاشِرون السَّحَرةَ مِن المُدُنِ للوَقتِ المحَدَّدِ لاجتِماعِهم.

كما قال تعالى: قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى [طه: 57 – 59].

وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39).

أي: وقيلَ لأهلِ مِصرَ: هل أنتم مُجتَمِعون لِتَنظُروا إلى ما يَفعَلُ الفريقانِ، ولِمَن تكونُ الغَلَبةُ؟

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40).

أي: لعَلَّنا[18] نتَّبِعُ السَّحَرةَ إن كانوا سيَغلِبون موسى.[19]

---

(18) قيل: لعلَّ هنا: بمعنى كَيْ.

وممَّن ذهب إلى ذلك: ابنُ جريرٍ، والسعديُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (567/17)، ((تفسير السعدي)) (ص: 591).

وقيل: لعَلَّ هنا للترجِّي.

وممَّن ذهب إلى ذلك: البيضاوي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (137/4)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة الشعراء)) (ص: 92).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عاشور)) (126/19).

(19) قال ابن جرير: (يقولُ: كَيْ نتَّبِعَ السَّحَرةَ إن كانوا هم الغالبينَ موسى...

فغيرُ معقولٍ أن يقولَ مَن كان على دينٍ: أنظُرُ إلى حُجَّةِ مَن هو على خِلافي لعلِّي أتَّبِعُ دينَه، وإنَّما يقالُ: أنظُرُ إليها كيْ أزدادَ بصيرةً بدِيني، فأُقيمَ عليه).

((تفسير ابن جرير)) (567/17، 568).

وقال ابن عطية: (قولُه: لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ ليس معناه نتبِعُهم في السِّحرِ، إنَّما أراد نتَّبِعُهم في نُصرةِ دينِنا ومِلَّتِنا، والإبطالِ على معارضتِنا).

((تفسير ابن عطية)) (230/4).

وقال البقاعي: (وزيَّن لهم هذا القائلُ البقاءَ على ما كانوا عليه مِن الباطِلِ بذِكرِ جانبِ السَّحَرةِ، وإن كان شَرَطَ فيه الغَلَبةَ، ولم يسمَحْ بذِكرِ جانبِ موسى عليه السَّلامُ، فقال: لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ؛ لأنَّ مَن امتثَل أمرَ المَلِكِ كان حالُه حالَ مَن يُرجى منه اتِّباعُ حِزبِه إِنْ كَانُوا هُمُ أي: خاصَّةً الْغَالِبِينَ أي: غَلَبةً لا يُشَكُّ في أنَّها ناشِئةٌ عن مكنةٍ، ونُعرِضُ عن أمرِ موسى الذي ينازِعُ المَلِكَ في أمرِه، وهذا مرادُهم في الحقيقةِ، وعبَّرَ بهذا كنايةً عنه؛ لأنَّه أدَلُّ على عظمةِ المَلِكِ).

((نظم الدرر)) (31/14).

وقال ابن عاشور: (رَجَوا اتِّباعَ السَّحَرةِ، أي: اتِّباعَ ما يؤيِّدُه سِحرُ السَّحَرةِ، وهو إبطالُ دينِ ما جاء به موسى، فكان قولُهم: لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ كنايةً عن رجاءِ تأييدِهم في إنكارِ رسالةِ موسى فلا يتَّبِعونَه، وليس المقصودُ أن يصيرَ السَّحَرةُ أئمَّةً لهم؛ لأنَّ فِرعَونَ هو المتَّبَعُ).

((تفسير ابن عاشور)) (126/19).

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41).

أي: فلمَّا حضَرَ السَّحَرةُ قالوا لفِرعَونَ: هل ستُعطينا أجرًا إن غلَبْنا موسى؟

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42).

أي: قال فِرعَونُ لهم: نعمْ، سأُعطيكم أُجرتَكم إنْ غلبْتُم موسى، وأَزيدُكم على ذلك أنْ أجعَلَكم مِن المقَرَّبِينَ لدَيَّ.

قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43).

أي: قال موسى للسَّحَرةِ: اطرَحوا في الأرضِ ما تُريدونَ طَرحَه كائنًا ما كان.[20]

فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44).

فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ.

أي: فطرَح السَّحَرةُ الحِبالَ والعِصِيَّ الَّتي أعَدُّوها للسِّحرِ، وخيَّلوا للنَّاسِ أنَّها حَيَّاتٌ تَسعَى.

كما قال تعالى: فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى [طه: 66].

---

(20) قال البيضاوي: (لم يُرِدْ به أمرَهم بالسِّحرِ والتمويهِ، بل الإذن في تقديمِ ما هم فاعِلوه لا محالةَ؛ توسُّلًا به إلى إظهارِ الحقّ). ((تفسير البيضاوي)) (4/138).

وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ.

أي: وقال السَّحَرةُ: بعَظَمةِ فِرعَونَ وقُوَّتِه وقُدرتِه وقَهرِه وشِدَّةِ سُلطانِه، إنَّا لَنَحْنُ الغالِبونَ موسى.

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45).

أي: فألقَى موسَى عصاهُ فأخَذَتْ تبتَلِعُ بسُرعةٍ جميعَ ما ألقاه السَّحَرةُ مِن الحِبالِ والعِصيّ التي أوهَموا النَّاسَ أنَّها حيَّاتٌ وخَدَعوهم بذلك.

كما قال تعالى: وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى [طه: 69].

فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46).

أي: فلمْ يَتمالَكِ السَّحَرةُ أنفُسَهم لَمَّا شاهدوا ذلك، وعَلِموا أنَّه صُنعُ صانعٍ حكيمٍ، لا مِن صُنعِ البَشَرِ، ولا مِن تَمويهِ السَّحَرةِ، فرَأَوا عظيمَ قدرةِ الله سبحانَه، وعرَفوا صدقَ موسَى عليه السلامُ، وأنَّ ما جاءهم به حقٌّ، فسَجَدوا لله تعالى مُسرِعينَ بلا تردُّدٍ.

كما قال تعالى: فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ [الأعراف: 118 – 120].

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47).

أي: قال السَّحَرةُ عندَما سَجَدوا لله: آمَنَّا بخالقِ ومالكِ ومدَبِّرِ السمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما، الَّذي دعَانا موسَى إلى عبادتِه.

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48).

أي: ربِّ موسى وهارونَ، الذي أيَّدَهما بهذه المُعجزةِ العظيمةِ، الدَّالَّةِ على صِدقِهما.

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49).

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ.

أي: قال فِرعَونُ لِلَّذين كانوا سَحَرَتَه فآمَنوا: أصدَّقْتُم بأنَّ ما جاء به موسى حقٌّ وانقَدْتُم له قبلَ أنْ آذَنَ لكم بذلك؟!

كما قال تعالى: قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ [الأعراف: 123].

إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ.

أي: إنَّ موسى لَرئيسُكم الذي علَّمَكم صناعةَ السِّحرِ، ولذلك آمنْتُم به، وتَواطأْتُم على ما فعَلْتُم![21]

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ فِرعَونَ: إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا [الأعراف: 123].

فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.

أي: قال فِرعَونُ متهدِّدًا: فلَسَوفَ تعلَمونَ ما أفعلُه بكم مِن العِقابِ.

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ.

أي: لأُقطِّعنَّ مِن كُلِّ ساحرٍ منكم يدَه ورِجلَه مِن جِهَتينِ مختَلِفتَينِ.

وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ.

أي: ولأُصَلِّبَنَّكم جميعًا على جُذوعِ النَّخلِ.

(21) قال القرطبي: (أي: رئيسُكم في التَّعليمِ، وإنَّما غلَبَكم؛ لأنَّه أحذَقُ به منكم.
وإنَّما أراد فرعونُ بقَولِه هذا ليشَبِّهَ على النَّاسِ؛ حتى لا يتَّبِعوهم فيُؤمِنوا كإيمانِهم، وإلَّا فقد علِم فِرعونُ أنَّهم لم يتعَلَّموا مِن موسى، بل قد علِموا السِّحرَ قبْلَ قدومِ موسى وولادتِه).
((تفسير القرطبي)) (224/11).

كما قال تعالى: قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى [طه: 71].

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50).

أي: قال السَّحرةُ المؤمِنونَ لفِرعَونَ: لا ضرَرَ علينا فيما يُصيبُنا مِن عذابِك المنقَطِعِ، ولا نُبالي به؛ لأنَّنا إلى اللهِ راجِعون، فيُجازينا أحسَنَ الجَزاءِ على إيمانِنا، وصَبرِنا على عذابِك.

كما قال تعالى: قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى [طه: 72، 73].

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51).

أي: إنَّنا نرجو أن يستُرَ رَبُّنا ذُنوبَنا، ويتجاوَزَ عن مؤاخَذتِنا بها؛ بسبَبِ كَونِنا أوَّلَ مَن آمَنَ بموسى عندَ ظُهورِ آيتِه.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (52–68)

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
(53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ
(56) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ (59) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا
لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64)
وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68)

غَرِيبُ الكَلِمَاتِ:

لَشِرْذِمَةٌ: أي: طائِفةٌ. وكُلُّ بقيَّةٍ قليلةٍ فهي شِرذِمةٌ، مِن شَرَمْتُ الشَّيءَ: إذا مزَّقْتَه، فكأنَّها طائفةٌ تمزَّقت عن الجماعةِ الكثيرةِ، فالذالُ فيها زائِدةٌ.

لَغَائِظُونَ: أي: مُغضِبون، والغَيظُ: أشَدُّ الغَضَبِ، وأصلُ (غيظ): يدُلُّ على كَربٍ يلحَقُ الإنسانَ مِن غَيرِه.

حَاذِرُونَ: أي: مُستَعِدُّون ومتيقِّظون، وأصلُ (حذر): يدُلُّ على التحَرُّزِ والتيقُّظِ.

وَمَقَامٍ كَرِيمٍ: أي: مَساكِنَ حِسانٍ، والمقامُ: محَلُّ القيامِ، والكَريمُ: النَّفيسُ.

مُشْرِقِينَ: أي: مُصبِحينَ، وقتَ شُروقِ الشَّمسِ، وأصلُ (شرق): يدُلُّ على إضاءةٍ وفَتحٍ.

تَرَاءَى: أي: تقابَلَ وتلاقى، وأصلُ (رأى): يدُلُّ على نَظَرٍ وإبصارٍ.

فَانْفَلَقَ: أي: انشقَّ، وانْفَرَق، والفَلْقُ: شقُّ الشيءِ، وإبانةُ بعضِه عن بعضٍ، وأصلُ (فلق): يدُلُّ على فُرْجةٍ وبَيْنونةٍ في الشَّيءِ.

فِرْقٍ: أي: جُزءٍ وقِطعةٍ، والفَرْقُ: الفَلْقُ مِن الشَّيْء إذا انفلَقَ وانقطَعَ، وكُلُّ شَيءٍ انقطع مِن شَيءٍ فهو فِرْقٌ منه وقِطعةٌ منه، وأصلُ (فرق): يدُلُّ على تمييزٍ وتزييلٍ بيْنَ شيئَينِ.

كَالطَّوْدِ: أي: الجَبَلِ، أو الجبلِ العظيمِ.

وَأَزْلَفْنَا: أي: قرَّبْنا، وأصلُ (زلف): يدُلُّ على اندِفاعٍ وتقَدُّمٍ في قُربٍ إلى شَيءٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (52).

أي: وأوحَيْنا إلى موسى أنْ سِرْ بعِبادي بني إسرائيلَ ليلًا، وسيتَّبِعُكم فِرعَونُ وجُنودُه؛ لِيَحُولوا بيْنَكم وبيْنَ الخُروجِ مِن أرضِ مِصرَ.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى [طه: 77].

وقال سُبحانَه: فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ * فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ [الدخان: 22 – 24].

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53).

أي: فأرسَلَ فِرعَونُ مَن يجمَعُ له مِن مدُنٍ كثيرةٍ جُنودًا؛ لِيَلحَقوا بني إسرائيلَ فيَرُدُّوهم.

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54).

أي: إنَّ بني إسرائيلَ لَطائِفةٌ ضَعيفةٌ وقَليلةٌ.[22]

---

(22) قال ابنُ عطية (٦/ ٤٨٢): «رُوِي: أنّ بني إسرائيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا. قاله ابن عباس.

وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55).

أي: وإنَّ بني إسرائيلَ مُغضِبون لنا أشدَّ الغضَبِ.[23]

والله أعلم بصحته، وإنما اللازم مِن الآية الذي يُقطَع به: أن موسى – عليه السلام – خرج بجَمْعٍ عظيم من بني إسرائيل، وأن فرعون تبعه بأضعاف ذلك العدد».

وقال ابنُ كثير (١٠/ ٣٤٧ – ٣٤٨): «ذكر غيرُ واحد من المفسرين: أنّ فرعون خرج في جَحْفَلٍ عظيم، وجمْعٍ كبير، وهو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه، أُولِي الحل والعقد والدول، من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود، فأمّا ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس، منها مائة ألف على خيل دهم.

وقال كعب الأحبار: فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم.

ففي ذلك نظر.

والظاهر أنه مِن مُجازفات بني إسرائيل، والله؟ أعلم.

والذي أخبر به هو النافع، ولم يعين عِدَّتَهم؛ إذ لا فائدة تحته، إلا أنهم خرجوا بأجمعهم».

وممَّن اختار أنَّ هذا الكلامَ لِفرعَونَ: مقاتلُ بن سليمان، وابن جرير، والبغوي، والبيضاوي، والنسفي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (265/3)، ((تفسير ابن جرير)) (572/17)، ((تفسير البغوي)) (467/3)، ((تفسير البيضاوي)) (139/4)، ((تفسير النسفي)) (564/2)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (130/4).

قال الطِّيبي: (قولُه: إنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ يوهِمُ قِلَّةَ الاحتفالِ بهم، وأنَّ قتالَهم إنَّما هو لأجْلِ أنَّهم لنا غائظون، ومِن عادتِنا الحذرُ على دولتِنا بحُسنِ الحِفظِ، وحمايةِ حَوزةِ المملكةِ، ولقد كذَب وكان فؤادُه مملوءًا رعبًا).

((حاشية الطيبي على الكشاف)) (495/13).

وقيل: هو مِن كلامِ مَن أرسلهم فرعونُ لحشرِ الجنودِ.

وممَّن اختار ذلك: البِقاعي، والسعدي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (38/14، 39)، ((تفسير السعدي)) (ص: 301)، ((تفسير ابن عاشور)) (130/19).

(23) قال ابنُ جرير (١٧/ ٥٧٢ – ٥٧٣ بتصرف): «يعني بالشرذمة: الطائفة، والعصبة الباقية، من عصَب جبيرةً، وشرذمة كلِّ شيء: بقيّته القليلة.

وقيل: ﴿قليلون﴾ لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة؛ فلما جمَعَ جمْعَ جماعاتهم قيل: قليلون».

وقال ابنُ عطية (٦/ ٤٨٣): «الشرذمة: الجمع القليل المحتقر.

وشرذمة كل شيء: بقيّته الخسيسة».

قال ابنُ جرير (١٧/ ٥٧٦): «ذُكِرَ: أن غيظهم إيّاهم كان قَتْلَ الملائكة مَن قتلَت مِن أبكارهم ...

وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56).

أي: وإنَّا كُلَّنا مستعِدُّون بالقوَّةِ والسِّلاحِ لحَربِ بني إسرائيلَ، وقد أخَذْنا حِذْرَنا منهم.(24)

القراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ حَاذِرُونَ بألِفٍ بعْدَ الحاءِ، ذَوو أداةٍ مِن السلاحِ وقوةٍ، أي: قد أخَذْنا حِذْرَنا من بني إسرائيلَ، وتأهَّبْنا لهم بسِلاحِنا، وقيل: رجلٌ حاذِرٌ فيما يستقبلُ، لا في وقتِه.(25)

2- قِراءةُ حَذِرُونَ بحذفِ الألفِ، أي: متيَقِّظون وخائِفون مِن شَرِّ بني إسرائيلَ، ومِن عادَتِنا الحَذَرُ في كُلِّ وَقتٍ. فقيل: رجلٌ حذِرٌ: إذا كان الحذرُ لازمًا له كالخِلقةِ، وقيل: القِراءتانِ بمعنًى واحدٍ.(26)

وقد يحتمل أن يكون معناه: وإنهم لنا لغائظون بذهابهم منهم بالعواريّ التي كانوا استعاروها منهم مِن الحليّ.

ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم، وخروجهم من أرضهم بِكُرْهٍ لهم لذلك».

(24) قال ابن عثيمين: (واجتماعُ القِراءتَينِ يُفيدُ المعنيينِ جميعًا، أي: إنَّا متيقِّظون، ولِتيقُّظِنا كنَّا مستعِدِّينَ، فهاتان القِراءتانِ تُفيدانِ معنيَينِ؛ المعنى الأول: التيقُّظُ، وهو استعدادٌ نفْسيٌّ، والمعنى الثاني: الاستعدادُ الحِسيُّ؛ لقولِه: حَاذِرُونَ؛ لأنَّ الحاذِرَ اسمُ فاعلٍ، وهو الذي فعَل ما يَحذَرُ به، وهو الاستعدادُ فقط.

فإن قيل: ألَا تَشملُ (حاذرون) كِلا المعنيَينِ؟ فالجواب: لا؛ لأنَّ الإنسانَ قد يستعِدُّ ويُحسِنُ الإعدادَ والأجهزةَ، لكِنْ لا يكونُ متيقِّظًا، فقط يستعِدُّ ولا يتيقَّظُ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 123).

(25) قرأ بها عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/335).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 267)، ((معاني القراءات)) للأزهري (2/225)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 517).

(26) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/335).

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57).

أي: فأخرَجْنا فِرعَونَ وقَومَه مِن بساتينَ كثيرةِ الأشجارِ والزُّروعِ، وعُيونِ الماءِ.

كما قال تعالى: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ [الدخان: 25 – 27].

وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58).

أي: وأخرَجْناهم من أموالِهم ومساكِنِهم الحسَنةِ التي كانوا يتنعَّمون فيها.[27]

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 267)، ((معاني القراءات)) للأزهري (225/2)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 517، 518)، ((تفسير البغوي)) (468/3).

(27) قال ابن عاشور: (الكنوز: الأموالُ المدَّخرة.

والمَقامُ: أصلُه محلُّ القيامِ، أو مصدرُ قامَ.

والمعنى على الأوَّلِ: مساكِنُ كريمةٌ، وعلى الثاني: قيامُهم في مجتمَعِهم، والكريمُ: النفيسُ في نوعِه).

((تفسير ابن عاشور)) (132/19).

أي: كذلك[28] وأورَثْنا الجنَّاتِ والعُيونَ والكُنوزَ والمساكِنَ التي كانت لِفرعَونَ وقَومِه بني إسرائيلَ.[29]

---

(28) قال ابن جرير: (قَولُه: كَذَلِكَ يقولُ: هكذا أخرَجْناهم مِن ذلك، كما وصَفْتُ لكم في هذه الآيةِ والَّتي قبْلَها).

((تفسير ابن جرير)) (17/578، 579).

وقال البقاعي: (كَذَلِكَ أي: مِثلَ ذلك الإخراجِ العجيبِ الذي أراده فرعونُ مِن قومِه في السرعةِ والكمالِ والهَيبةِ، أخرَجْناهم نحن بأنْ يسَّرْنا له ولهم ذلك، ووفَّرْنا لهم الأسبابَ؛ لِما اقتضَتْه حِكمتُنا.

أو مِثلَ ذلك الخروجِ الذي قصَصْناه عليك أخرَجْناهم، أي: كان الواقِعُ مِن خروجِهم مطابقًا لِما عبَّرْنا به عنه.

أو الأمرُ الذي قصَصْناه كلَّه كما قُلْنا.

وأوَّلُها أقعَدُها وأحسَنُها وأجوَدُها).

((نظم الدرر)) (14/42).

وقال ابن عثيمين: (كَذَلِكَ تكون خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ، يعني: إخراجنا لهم كان كذلك.

أو يكونُ التقدير: الأمرُ كذلك...، فهي جملةٌ مستقِلَّةٌ عمَّا قبْلَها وعمَّا بعْدَها).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 127).

(29) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/578)، ((تفسير القرطبي)) (13/105)، ((تفسير السعدي)) (ص: 592).

قيل: ردَّ اللهُ بني إسرائيلَ إلى مِصرَ بعدَ خروجِهم منها فأعطاهم جميعَ ما كان لقومِ فرعونَ مِن الخَيراتِ والنِّعَمِ.

وممَّن قال بذلك: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والواحديُّ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/822)، ((الوسيط)) للواحدي (3/354).

قال الألوسي: (قال الواحدي: إنَّ الله تعالى ردَّ بني إسرائيلَ إلى مصرَ بعدَما أغرَق فِرعونَ وقومَه، فأعطاهم جميعَ ما كان لقومِ فِرعونَ مِن الأموالِ والعقارِ والمساكنِ...

وظواهِرُ كثيرٍ مِن الآياتِ تقتضي ما ذكره الواحديُّ.

والله تعالى أعلَمُ).

((تفسير الألوسي)) (10/82، 83).

وقال أيضًا: (قوله تعالى في سورةِ الشعراء: كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ظاهرٌ في أن بني إسرائيلَ رجَعوا إلى مصرَ بعدَ هلاكِ فرعونَ، وملَكوها، وبه قال الحسنُ...

وقيل: لم يَرِدْ في مشهورِ التواريخِ أنَّ بني إسرائيلَ رجَعوا إلى مصرَ، ولا أنَّهم ملَكوها قطُّ...

وأخَذ جمعٌ بقولِ الحسنِ، وقالوا: لا اعتبارَ بالتواريخِ، وكذا الكتبُ التي بيدِ اليهودِ اليومَ؛ لِما أنَّ الكذبَ فيها كثيرٌ، وحسبُنا كتابُ الله تعالى، وهو سبحانَه أصدقُ القائلينَ، وكتابُه جلَّ وعلا مأمونٌ مِن تحريفِ المحرِّفينَ).

((تفسير الألوسي)) (13/122) بتصرف.

كما قال تعالى: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ [الأعراف: 137].

وقال سُبحانَه: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ [القصص: 5].

وقال طنطاوي: (لا مانعَ مِن عودةِ الضميرِ في قولِه تعالى: وَأَوْرَثْنَاهَا إلى الجناتِ والعيونِ والكنوزِ التي أخرَجَ اللهُ تعالى منها فِرعونَ وقومَه، بأنْ عاد موسى ومَن معَه إلى مِصرَ -لفترةٍ معيَّنةٍ- بعْدَ هلاكِ فرعونَ ومَلَئِه، ثمَّ خرَجوا منها بعدَ ذلك مواصِلينَ سيرَهم إلى الأرضِ المقدَّسةِ التي أمرَهم موسَى عليه السلامُ بدُخولِها).

((التفسير الوسيط)) (251/10).

وقيل: إنَّ بني إسرائيل لم يَرِثوا مُلكَ فِرعَونَ في مِصرَ، ولكنَّهم وَرِثوا مُلكًا مِثلَه في أرضِ الشامِ، والمقصودُ نوعُ المُلكِ والنِّعمةِ الذي زالَ عن فِرعونَ وملَئِه ووَرِثَه بنو إسرائيلَ.

وممَّن قال بذلك في الجملةِ: ابنُ جُزَي، والمراغي، وابن عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (91/2)، ((تفسير المراغي)) (67/19)، ((تفسير ابن عاشور)) (133/19) و(303/25).

وذهب محمد رشيد رضا إلى أنَّ المعنى: أنَّ بني إسرائيلَ وَرِثوا مُلكَ فِرعونَ في أرضِ الشامِ؛ لأنَّ الشامَ كانت تابعةً لِمصرَ في عهدِ فِرعونَ.

يُنظر: ((تفسير المنار)) (86/9).

وقال ابن عجيبة: (التحقيقُ أنَّهم ملَكوا التصرُّفَ في مِصرَ، ووصَلَتْ حكومتُهم إليها، ولم يَرجِعوا إليها، واللهُ تعالى أعلَمُ).

((البحر المديد)) (137/4).

وقال ابنُ عاشور: (وقيل: ضميرُ وَأَوْرَثْنَاهَا عائدٌ إلى خصوصِ الكنوزِ؛ لأنَّ بني إسرائيلَ استعاروا ليلةَ خروجِهم من جيرانِهم المصريِّينَ مَصوغَهم مِن ذهبٍ وفِضَّةٍ، وخرَجوا به كما تقدَّم في سورة طه [يعني في قولِه تعالى: حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا [طه: 87]).

((تفسير ابن عاشور)) (134/19).

فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60).

أي: فلَحِقَ فِرعَونُ وجنودُه بني إسرائيلَ وقْتَ شُروقِ الشَّمسِ.(30)

فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61).

أي: فلمَّا رأى كلٌّ مِن جمعِ موسى وجَمعِ فِرعَونَ الآخَرَ، قال أصحابُ موسى: سيُدرِكُنا فِرعَونُ وجنودُه، ولا نَستطيعُ الفِرارَ؛ فالبَحرُ أمامَنا، وهم خَلْفَنا.

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62).

أي: قال موسى مُطَمْئِنًا قومَه: ليس الأمرُ كما ذكَرتُم مِن أنَّنا مُدرَكون؛ لأنَّ ربِّي معي بنَصرِه وتأييدِه، وسيَهديني لطَريقِ النَّجاةِ.

فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63).

---

(30) قال ابن عاشـور: (يجوز أن يكونَ معناه: قاصـدين جِهةَ الشَّـرقِ، يقال: أشـرَقَ: إذا دخلَ في أرض الشَّـرقِ، كما يقال: أنجَدَ وأَتْهَم وأعْرَقَ وأشأَمَ، ويُعلَمُ مِن هذا أنَّ بني إسرائيلَ توجَّهوا صَوْبَ الشَّرقِ، وهو صَوبُ بحرِ القُلْزُمِ، وهو البحرُ الأحمرُ،... وهو شرقيَّ مِصرَ.
ويجوزُ أن يكونَ المعنى: داخلينَ في وقتِ الشروقِ، أي: أدركوهم عندَ شروقٍ بعْدَ أن قضَوا ليلةً أو ليالِيَ مَشيًا، فما بصُرَ بعضُهم ببعضٍ إلَّا عندَ شروقِ الشمسِ بعدَ ليالي السَّفرِ).
((تفسير ابن عاشور)) (134/19).
وقال ابن عثيمين: (وكِلا المعنيَين صحيحٌ؛ فمُشرِقٌ: متَّجِهٌ نحوَ المشرقِ باعتبارِ المكانِ، ومُشرِقٌ: وقت الشُّروقِ باعتبارِ الزمانِ).
((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 131).

فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ.

أي: فأوحى اللهُ إلى موسى، فقال له: اضرِبْ بعَصاك البَحرَ الذي أمامَك.

فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ.

أي: فضرَبَ موسَى بعصاه البحرَ، فانشَقَّ، فكانت كلُّ قِطعةٍ مِن الماءِ كالجبَلِ الكبيرِ![31]

كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى [طه: 77].

وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64).

أي: وقرَّبْنا فِرعَونَ وجُنودَه مِن البَحرِ، وأدخَلْناهم في ذلك الطَّريقِ المنشَقِّ لِنُغرِقَهم.

---

(31) قال البقاعي: (كَالطَّوْدِ أي: الجبَلِ في إشرافِه وطولِه وصلابتِه بعدمِ السَّيلانِ ? المتطاوِلِ في السماءِ، الثابتِ لا يتزلزَلُ؛ لأنَّ الماءَ كان منبَسِطًا في أرضِ البحرِ، فلما انفرَقَ وانكشَفَت فيه الطرُقُ انضَمَّ بعضُه إلى بعضٍ، فاستطال وارتفَعَ في السَّماءِ).
((نظم الدرر)) (44/14).
وقال ابنُ عثيمين: (ظاهِرُه أنَّه عريضٌ؛ لأنَّ الطودَ العظيمَ يتناوَلُ الكِبَرَ والارتفاعَ والعَرْضَ...
وقولُه: كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ظاهِرُه أنَّ الماءَ لم يتغيَّرْ، يعني: لم يتجمَّدْ بالمعنى المعروفِ فيكونَ أبيضَ جامدًا، ولكنَّه بقِي جامدًا على طبيعتِه أسودَ، وهذا أعظَمُ مما لو تجمَّد وهو على غيرِ طبيعتِه، لصارت فيه آيةٌ واحدةٌ، وهي سرعةُ التجمُّدِ بهذه اللحظةِ، فكوْنُه لا يسيلُ وهو جامِدٌ أمرٌ طبيعيٌّ عاديٌّ، لكِنْ كونُه يبقَى مائعًا ولكِنْ لا يسيلُ، فهذا أبلَغُ مِن ذلك.
ففيه آيتان: أنَّه لا يسيلُ، وأنَّه لا يسيلُ وهو على طبيعتِه، واللهُ تعالى على كلِّ شيءٍ قديرٌ).
((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 136).

وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65).

أي: وأنجَيْنا مِن الغرَقِ موسى والذين معه كُلَّهم، وسلَّمْناهم مِن عدُوِّهم.

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66).

أي: ثمَّ أغرَقْنا فِرعَونَ وقَومَه كُلَّهم في البَحرِ، فلمْ يُفلِتْ منهم أحَدٌ.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.

أي: إنَّ في قِصَّةِ موسى وفِرعَونَ لَعِظةً وعِبرةً عَظيمةً، ودَلالةً واضِحةً للنَّاسِ على صِدقِ الرَّسولِ، وحِكمةِ اللهِ وتَوحيدِه، وقُدرتِه العظيمةِ على إهلاكِ الكافرين وإنجاءِ المؤمنينَ.

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ فِرعَونَ مؤمنينَ بالله، فلم يُؤمِنْ منهم إلَّا قِلَّةٌ قَليلةٌ.(32)

---

(32) وممَّن قال بأنَّ المرادَ هنا قومُ فرعونَ: مقاتلُ بن سليمان، والواحدي، والقرطبي، والبقاعي.

يُنظر: المصادر السابقة.

قال الشوكاني: (ليس المرادُ أكثرَ مَن كان معَ فرعونَ عندَ لحاقِه بموسَى؛ فإنَّهم هلَكوا في البحرِ جميعًا، بل المرادُ مَن كان معه مِن الأصلِ، ومَن كان متابعًا له ومنتسبًا إليه، هذا غايةُ ما يمكنُ أن يُقالَ).

((تفسير الشوكاني)) (119/4).

وذهب ابنُ جريرٍ ومكِّيٌّ إلى أنَّ المعنى: وما كان أكثَرُ قومِك -يا محمَّدُ- مؤمنينَ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (588/17)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (5314/8).

كما قال تعالى: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [يوسف: 103].

وقال سُبحانَه: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ [هود: 17].

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68).

أي: وإنَّ رَبَّك –يا محمَّدُ– لَهُوَ العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يُعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه ينجِّي أتْباعَ رسُلِه.

وقال ابن عثيمين: (والأَولى أن يُقال: وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ أنَّه يَعودُ على الذين نزَل عليهم القرآنُ، لا على بني إســـرائيلَ، أو آلِ فِرعَونَ).

((تفسير ابن عثيمين–سورة الشعراء)) (ص: 147).

سورةُ الشُّعَرَاءِ

الآيات (69–89)

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا
فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ
(73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75)
أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ
يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي
حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِنْ
وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87)
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

عَاكِفِينَ: أي: مُقيمينَ، والعُكُوفُ: الإقبالُ على الشَّيءِ ومُلازمتُه على سَبيلِ التَّعظيمِ له، وأصلُ (عكف): يدُلُّ على الإقبالِ والحَبسِ.

لِسَانَ صِدْقٍ: أي: ذِكرًا وثناءً حَسَنًا، وأصلُ (صدق): يدُلُّ على قُوَّةٍ في الشَّيءِ قَولًا وغيرَه.

تُخْزِنِي: أي: تَفضَحْني وتُذِلَّني، وأصلُ الخزيِ: الإبعادُ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69).

أي: واقرأْ –يا محمَّدُ– على قَومِك خبرَ إبراهيمَ العَظيمَ.[33]

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70).

أي: حينَ قال إبراهيمُ لأبيه وقَومِه المُشرِكين: أيُّ شَيءٍ تعبدونَ، وتُواظِبونَ على عبادتِه؟

قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71).

أي: قال المُشرِكون لإبراهيمَ: نعبُدُ أصنامًا، فنُقيمُ على عبادتِها وَقتًا طَويلًا[34]

---

(33) قال القرطبي: (قَولُه تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ نبَّه المشركين على فَرطِ جَهلِهم؛ إذ رَغِبوا عن اعتقادِ إبراهيمَ ودينِه، وهو أبوهم).

((تفسير القرطبي)) (13/109).

وقال ابن عاشور: (ونبأُ إبراهيمَ: قصَّتُه المذكورةُ هنا، أي: اقرأْ عليهم ما ينزِلُ عليك الآنَ مِن نبأِ إبراهيمَ).

((تفسير ابن عاشور)) (19/137).

(34) قال مكي: (لا يكونُ «ظلَّ» إلا بالنَّهارِ، كما أنَّ «باتَ» بالليلِ، واشتقاقُه مِن «الظلِّ»، و«الظلُّ» إنَّما يكونُ بالنَّهارِ؛ فلذلك لم يقَعْ «ظل» إلَّا بالنَّهارِ).

((الهداية إلى بلوغ النهاية)) (7/4926).

وقال الزمخشري: ((إنما قالوا: نَظَلُّ؛ لأنَّهم كانوا يعبُدونَها بالنَّهارِ دونَ اللَّيلِ).

((تفسير الزمخشري)) (3/318).

وقال ابن عاشور: (...

هم كانوا صابئةً يعبدون الكواكبَ، وجعلوا الأصنام رموزًا على الكواكبِ تكونُ خَلَفًا عنها في النهارِ، فإذا جاء الليلُ عبدوا الكواكِبَ الطالعةَ...

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72).

أي: قال إبراهيمُ لِقَومِه: هل تَسمَعُ أصنامُكم دُعاءَكم حينَ تَدْعونَها؟

أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73).

أي: أو هل تنفَعُكم أو تُوقِعُ الضَّرَرَ عليكم أو على أعدائِكم؟!

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74).

أي: قال قَومُ إبراهيمَ: لا تَسمَعُنا الأصنامُ، ولا تنفَعُنا ولا تضُرُّنا، ولكِنَّا وجَدْنا آباءَنا يَعبُدونَها ويَعكُفونَ عليها، فنحنُ نقتَدي بهم!

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76).

أي: قال إبراهيمُ: أفرأيتُم -أيُّها القَومُ- هذه الأصنامَ التي كنتُم تَعبدونَها أنتم وأجدادُكم الماضُونَ الأوَّلونَ.

وكانت الأممُ الوَثَنيةُ تَعبُدُ الوثَنَ؛ لرجاءِ نفعِه أو لدَفعِ ضَرِّه، ولذلك عَبَد بعضُهم الشياطينَ).
((تفسير ابن عاشور)) (139/19).

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77).

أي: فإنَّها كُلَّها عدوٌّ لي لا أعبُدُها،[35] وأتبرَّأُ منها، إلَّا رَبَّ العالَمينَ؛ فإنِّي أعبُدُه وحْدَه.[36]

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78).

أي: الذي أوجَدني وحْدَه مِنَ العَدَمِ، ويُرشِدُني لِمَصالحي في دِيني ودُنياي.

---

(35) قال ابنُ جرير (١٧/ ٥٩١) ردًّا على سؤال مفاده: كيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم؟: «معنى ذلك: فإنهم عدوّ لي -لو عبدتهم- يوم القيامة، كما قال -جلّ ثناؤه-: ﴿واتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ ويَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١ - ٨٢]».

وقال ابنُ عطية (٦/ ٤٨٩): «عَبَّرَ عن بغضته واطّراحه لكل معبود سوى الله تعالى بالعداوة؛ إذ هي تقتضي التفسير، وقيل: في الكلام قَلْبٌ؛ لأن الأصنام لا تعادي، وإنما هو عاداها».

وقال ابنُ كثير (١٠/ ٣٥١ - ٣٥٢): «أي: إن كانت هذه الأصنام شيئًا ولها تأثير فَلْتَخْلُص إلَيّ بالمساءة، فإنِّي عدو لها، لا أباليها، ولا أفكر فيها.

وهذا كما قال تعالى مُخْبِرًا عن نوح - عليه السلام -: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون﴾ [يونس: ٧١].

وقال هود - عليه السلام -: ﴿إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون. إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦]».

(36) قال ابن عطية: (لفظةُ عدوٍّ تقع للجَميعِ والمفرَدِ، والمؤنَّثِ والمذكَّرِ).

((تفسير ابن عطية)) (234/4).

وقال ابن الجوزي: (في قَولِه تعالى: إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ قولان؛ أحدُهما: أنَّه استثناءٌ مِن الجنسِ؛ لأنَّه علِمَ أنَّهم كانوا يعبدونَ اللهَ مع آلهتِهم، قاله ابن زيد.

والثاني: أنَّه مِن غير الجنسِ، فالمعنى: ولكِنْ رَبُّ العالَمينَ ليس كذلك، قاله أكثَرُ النَّحْويّين).

((تفسير ابن الجوزي)) (341/3).

ويُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (93/4)، ((تفسير البيضاوي)) (141/4)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (530/8)، ((تفسير الشربيني)) (18/3).

وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79).

أي: والذي يُغَذِّيني وحْدَه بالطَّعامِ والشَّرابِ.

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80).

أي: وإذا سَقِمَ بَدَني واعتَلَّت صِحَّتي فهو وحْدَه الذي يُعافيني.

وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81).

أي: وهو وحْدَه الذي يَقبِضُ رُوحي عند انقضاءِ أجلي، ثمَّ يبعَثُني يومَ القيامةِ ليُجازيَني.

وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82).

أي: وهو وحْدَه الذي أرجو أن يغفِرَ لي ذُنوبي يومَ القيامةِ.(37)

---

(37) قال ابنُ عطيةَ: (قَوَلهُ: خَطِيئَتِي ذهب فيه أكثَرُ المفسِّرينَ إلى أنَّه أراد كَذِباتِه الثَّلاثَ؛ قولُه: «هي أختي»، في شأنِ سارَةَ، وقولُه: إِنِّي سَقِيمٌ [الصافات: 89] ، وقولُه: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ [الأنبياء: 63] .

وقالت فِرقةٌ: أراد بـ «الخطيئة» اسمَ الجنسِ، فدعا في كُلِّ أمرِه مِن غيرِ تعيينٍ.

وهذا أظهَرُ عندي؛ لأنَّ تلك الثَّلاثَ قد خَرَّجها كثيرٌ مِن العلماء على المعاريضِ).

((تفسير ابن عطية)) (235/4).

قال ابنُ عطية (٦/ ٤٩٠ – ٤٩١): «قوله: ﴿خطيئتي﴾ ذهب فيه أكثر المفسرين إلى أنه أراد كذباته الثلاث: قوله:» هي أختي «في شأن سارة، وقوله: ﴿إني سقيم﴾، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾.

وقالت فرقة: أراد بـ» الخطيئة «اسم الجنس، فدعا في كل أمره من غير تعيين».

ثم ذَهَبَ إلى القول الثاني مستندًا إلى دلالة العقل، فقال: «وهذا أظهر عندي؛ لأن تلك الثلاث قد خرَّجها كثير من العلماء على المعاريض وهي –وإن كانت كذبات بحكم قول النبي – ﷺ –: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات».

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((قلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كان في الجاهليَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطعِمُ المِسكينَ، فهل ذاك نافِعُه؟ قال: لا ينفَعُه؛ إنَّه لم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفِرْ لي خطيئتي يومَ الدِّينِ)).[38]

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83).

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا.

أي: ربِّ أعطِني فَهمًا، وعِلمًا كثيرًا.[39]

وبحكم ما في حديث الشفاعة مِن قوله في شأن إبراهيم: «نفسي نفسي» وذَكَرَ كذباته- فهي في مصالح، وعون شرع وحق».

(38) رواه مسلم (214).

(39) قال ابن الجوزي: (حُكْمًا فيه ثلاثةُ أقوالٍ؛ أحدُها: النبوَّةُ، قاله أبو صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: اللُّبُّ، قاله عِكْرِمةُ.

والثالث: الفَهمُ والعلمُ، قاله مقاتلٌ).

((تفسير ابن الجوزي)) (3/341).

ويُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/269).

ممَّن اختار في الجملةِ أنَّ المرادَ بالحُكمِ: العِلمُ والفَهمُ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والسمعانيُّ، وجلال الدين المحلي، والشوكاني، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/269)، ((تفسير السمعاني)) (4/54)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 485)، ((تفسير الشوكاني)) (4/123)، ((تفسير السعدي)) (ص: 593).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ: النُّبوَّةُ: يحيى بنُ سلَّام، وابنُ جرير، والسمرقنديُّ، ومكِّي.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (2/508)، ((تفسير ابن جرير)) (17/593)، ((تفسير السمرقندي)) (2/557)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (8/5320).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ: الحكمةُ والنبوةُ: ابنُ عطية، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (4/235)، ((تفسير ابن عاشور)) (19/145).

وقال ابنُ عاشور: (الحُكْمُ: هو الحِكمةُ والنبوَّةُ...

وقد كان إبراهيمُ حين دعا نبيًّا؛ فلذلك كان السؤالُ طلبًا للازديادِ؛ لأنَّ مراتِبَ الكمالِ لا حَدَّ لها بأن يُعطى الرِّسالةَ مع النبوَّةِ، أو يُعطى شريعةً مع الرِّسالةِ، أو سَأل الدَّوامَ على ذلك).

وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ.

أي: واجعَلْني معَ الصَّالحينَ في الدُّنيا والآخرةِ.

وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ (84).

أي: واجعَلْ لي ثناءً حَسَنًا دائمًا، فأُذكَرَ مِن بَعدي، ويَقتديَ النَّاسُ بي.[40]

كما قال تعالى: وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ *كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [الصافات: 108 – 111].

وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85).

((تفسير ابن عاشور)) (145/19).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ: الكمالُ في العِلمِ والعَملِ: البيضاويُّ، والشربيني، وأبو السعود.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (142/4)، ((تفسير الشربيني)) (19/3)، ((تفسير أبي السعود)) (250/6).

قال البقاعي: (هَبْ لِي حُكْمًا أي: عملًا متقنًا بالعلمِ، وأصلُه بناءُ الشيءِ على ما تُوجِبُه الحكمةُ).

((نظم الدرر)) (54/14).

وقال أبو حيان: (والظاهِرُ أنَّ الحكمَ هو الفصلُ بينَ الناسِ بالحقِّ).

((تفسير أبي حيان)) (167/8).

(40) قال ابن عطية: (لســانُ الصِّــدقِ في الآخِرينَ: هو الثناءُ وتخليدُ المكانةِ، بإجماعٍ مِن المفسِّــرينَ، وكذلك أجاب اللهُ دَعْوتَه؛ فكلُّ مِلَّةٍ تتمَسَّكُ به وتعَظِّمُه).

((تفسير ابن عطية)) (235/4).

وقال القرطبيُّ: (وقد فعَل اللهُ ذلك؛ إذ ليس أحدٌ يصَلِّي على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلَّا وهو يصلِّي على إبراهيمَ، وخاصَّةً في الصَّلواتِ، وعلى المنابِرِ، التي هي أفضلُ الحالاتِ، وأفضَلُ الدَّرَجاتِ).

((تفسير القرطبي)) (113/13).

أي: واجعَلْني ممَّن تُورِثُهم الجنَّةَ في الآخِرةِ.

وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86).

أي: واغفِرْ لأبي؛ لأنَّه مِنَ الضَّالِّينَ عن طَريقِ الحَقّ، فلا تُعاقِبْه.(41)

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87).

أي: ولا تَفْضَحْني يومَ القيامةِ حينَ تَبعَثُ عِبادَك لفصلِ القضاءِ.

---

(41) قال السعدي: (هذا الدعاءُ بسببِ الوعدِ الذي قال لأبيه: سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا [مريم: 47] ، قال تعالى: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ [التوبة: 114]).

((تفسير السعدي)) (ص: 593).

وذهب السمرقنديُّ إلى أنَّ هذا الدُّعاءَ مِن إبراهيمَ كان في حياةِ أبيه، والمرادُ هدايتُه إلى الحَقّ، يعني: إنَّه كان مِن المشركينَ في الحالِ، كقَولِه عزَّ وجلَّ: مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا [مريم: 29] يعني: مَن هو في الحالِ صبيٌّ.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (558/2).

وقال الواحدي: (هذا الاستغفارُ منه لأبيه إنَّما كان قبْلَ أن يتبرَّأَ منه).

((البسيط)) (74/17).

وقال البيضاوي: (إنْ كان هذا الدُّعاءُ بعْدَ موتِه، فلعلَّه...

لم يُمنَعْ بَعدُ مِن الاستغفارِ للكُفَّارِ).

((تفسير البيضاوي)) (142/4).

وقال الألوسي: (حاصِلُه: وفِّقْه للإيمانِ، كما يلوحُ به تعليلُه بقولِه: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وهذا ظاهِرٌ إذا كان هذا الدعاءُ قبلَ موتِه، وإنْ كان بعْدَ الموتِ فالدُّعاءُ بالمغفرةِ على ظاهرِه، وجاز الدعاءُ بها لمُشرِكٍ، واللهُ تعالى لا يغفِرُ أن يُشرَكَ به؛ لأنَّه لم يوحَ إليه عليه السَّلامُ بذلك إذ ذاك، والعَقلُ لا يَحكُمُ بالامتناعِ).

((تفسير الألوسي)) (98/10).

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ - ﷺ -، قال: ((يَلقَى إبراهيمُ أباه آزَرَ يومَ القيامةِ، وعلى وَجهِ آزَرَ قَتَرةٌ وغَبَرةٌ، فيقولُ له إبراهيمُ: ألم أقُلْ لك: لا تَعصِني؟ فيقولُ أبوه: فاليومَ لا أعصيك. فيقولُ إبراهيمُ: يا رَبِّ، إنَّك وعَدْتَني ألَّا تُخزِيَني يومَ يُبعَثونَ، فأيُّ خزيٍ أخزَى مِن أبي الأبعَدِ؟![42] فيقولُ اللهُ تعالى: إنِّي حرَّمتُ الجنَّةَ على الكافرينَ. ثمَّ يُقالُ: يا إبراهيمُ، ما تحتَ رِجْلَيْك؟ فينظُرُ فإذا هو بذِيخٍ[43] مُلتَطِخٍ، فيُؤخَذُ بقوائِمِه فيُلقى في النَّارِ)).[44]

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88).

أي: يومَ لا ينفَعُ العَبدَ فيه مالُه ولا أبناؤه.[45]

---

(42) قيل: وصَف إبراهيمُ عليه السلامُ نفْسَه بالأبعدِ على طريقِ الفرضِ إذا لم تُقبَلْ شفاعتُه في أبيه.
وقيل: الأبعدُ صفةُ أبيه، أي: أنَّه شديدُ البعدِ مِن رحمةِ الله؛ لأنَّ الفاسقَ بعيدٌ منها، فالكافرُ أبعدُ.
وقيل: الأبعد بمعنى البعيدِ، والمرادُ الهالكُ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (8/500).

(43) الذِّيخُ: ذكَرُ الضِّباعِ، وأراد بالتلطُّخِ التلَطُّخَ برَجيعِه أو بالطِّينِ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (2/174).

(44) رواه البخاري (3350).

(45) ممَّن اختار أنَّ قولَه: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ... مِن كلامِ إبراهيمَ عليه السلامُ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، وهو ظاهرُ اختيارِ ابنِ جرير، واختاره أبو حيَّان، والشوكانيُّ، وابنُ عاشور.
يُنظر: ((تفسير مقاتل ابن سليمان)) (3/270)، ((تفسير ابن جرير)) (17/595)، ((تفسير أبي حيان)) (8/171)، ((تفسير الشوكاني)) (4/123)، ((تفسير ابن عاشور)) (19/147).
قال أبو حيان: (والظَّاهِرُ أن هذه الجُمَلَ كُلَّها متعلِّقةٌ بقولِ إبراهيمَ؛ أخبَرَ بما أعلَمَه اللهُ مِن أحوالِ يومِ القيامةِ، وما يكونُ فيها مِن حالِ قَومِه).
((تفسير أبي حيان)) (8/171).

إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89).

أي: إلَّا مَن لَقِيَ اللهَ يومَ القيامةِ وقلبُه خالِصٌ مِنَ الشِّركِ والشَّكِّ،(46) والعقائِدِ الباطِلةِ، والأوصافِ الذَّميمةِ، والإراداتِ الفاسدةِ.(47)

وذهب السمرقنديُّ وابنُ عطيَّةَ إلى أنَّ كلامَ إبراهيمَ انقطع عندَ قَولِه: وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، ثمَّ إنَّ الله وصَف ذلك اليومَ فقال: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ....

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (558/2)، ((تفسير ابن عطية)) (236/4).

(46) قال ابنُ جرير (١٧/ ٥٩٥): «الذي عُنِي به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب مِن الشكّ في توحيد الله، والبعث بعد الممات».

وذكر ابنُ عطية (٦/ ٤٩٢) أنّ سفيان قال: إن صاحب القلب السليم هو الذي يلقى ربَّه وليس في قلبه شيء غيره.

ثم علَّق بقوله: «وهذا يقتضي عموم اللفظة، ولكن السليم مِن الشرك هو الأهم».

وبنحوهما ابنُ تيمية (٥/ ٤٦)، وكذا ابنُ كثير (١٠/ ٣٥٥).

وقال ابنُ القيم (٢/ ٢٧٦ – ٢٧٧ بتصرُّف): «قد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومِن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله، في خوفه ورجائه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال، والتباعد من سخطه بكل طريق.

وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده، ولا يتم له سلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء: ١ – من شرك يناقض التوحيد.

٢ – وبدعة تخالف السنة.

٣ – وشهوة تخالف الأمر.

٤ – وغفلة تناقض الذِّكر.

٥ – وهوًى يناقض التجريد والإخلاص.

وهذه الخمسة حُجُب عن الله، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفرادًا لا تنحصر».

(47) قال ابنُ عطية (٦/ ٤٩٤): «هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ﴾ هي عندي منقطعة من كلام إبراهيم – عليه السلام –، وهي إخبار من الله – عز وجل –، تعلّق بصفة ذلك اليوم الذي وقف إبراهيم – عليه السلام – عنده في دعائه أن لا يخزى فيه».

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (90–104)

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ
(92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94)
وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
(97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ
شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104)

قال ابن رجب: (القَلبُ السَّليمُ هو الذي ليس فيه شَيءٌ مِن محبَّةِ ما يكرَهُه اللهُ، فدخَل في ذلك سلامتُه مِن الشِّركِ الجَليِّ والخَفيِّ، ومِن الأهواءِ والبِدَعِ، ومِن الفُسوقِ والمعاصي؛ كبائِرِها وصغائرِها، الظَّاهرةِ والباطنةِ، كالرِّياءِ، والعُجْبِ، والغِلِّ، والغِشِّ، والحِقدِ، والحسدِ، وغيرِ ذلك).

((مجموع رسائل ابن رجب)) (354/1).

غَرِيبُ الكَلِمَاتِ:

وَأُزْلِفَتِ: أي: قُرِّبَت وأُدنِيَت، وأصلُ (زلف): يدُلُّ على اندِفاعٍ وتقَدُّمٍ في قُربٍ إلى شَيءٍ.

وَبُرِّزَتِ: أي: أُظهِرَت وكُشِفَت، والبَرازُ: الفَضاءُ، وأصلُ (برز): يدُلُّ على ظُهورِ الشَّيءِ.

الْجَحِيمُ: أي: النارُ، والجُحْمةُ: شِدَّةُ تأجُّجِ النَّارِ، والجاحِمُ: المكانُ الشديدُ الحرِّ، وبذلك سُمِّيت الجحيمُ، وأصلُ (جحم): الحرارةُ وشِدَّتُها.

لِلْغَاوِينَ: أي: للضَّالِّينَ والكافِرين، والغَيُّ: جَهلٌ مِن اعتقادٍ فاسِدٍ، والانهماكُ في الباطِلِ، وأصلُ (غوي): يدُلُّ على خِلافِ الرُّشدِ، وإظلامِ الأمرِ.

فَكُبْكِبُوا: أي: جُمِعوا وطُرِحوا، والكَبْكَبةُ: تَدَهْورُ الشَّيءِ في هُوَّةٍ، وأصلُ الكبِّ: إسقاطُ الشَّيءِ على وجْهِه.

يَخْتَصِمُونَ: أي: يختَلِفون ويَتنازَعون، وأصلُ (خصم): يدُلُّ على مُنازَعةٍ.

شَافِعِينَ: الشَّفاعَةُ: الانْضِمامُ إلى آخَرَ نُصْرةً له، وسؤالًا عنه، وشَفَعَ لِفُلانٍ: إذا جاء مُلتَمِسًا مَطْلَبَه، ومُعِينًا له؛ فأصلُ الشَّفْعِ: ضَمُّ الشَّيءِ إلى مِثلِه.

حَمِيمٍ: أي: قَريبٍ مُشفِقٍ، وهو أخصُّ مِن الصَّديقِ، وحَميمُ الرَّجُلِ: خاصَّتُه، مِنْ (حَمَّ): إذا دنا وقَرُب، وأصلُ (حمم) هنا: الدنوُّ والحضورُ.

كَرَّةً: أي: رَجعةً إلى الدُّنيا، مِنَ الكَرِّ: وهو الرُّجوعُ.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90).

أي: وقُرِّبتِ الجنَّةُ يومَ القيامةِ للذين اتَّقَوا عذابَ اللهِ في الدُّنيا؛ بفِعلِ أوامِرِه، واجتِنابِ نواهيه.[48]

كما قال تعالى: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ [ق: 31].

وقال تعالى: وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ [التكوير: 13].

وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91).

أي: وأُظهِرَت النَّارُ يومَ القيامةِ للذين ضَلُّوا في الدُّنيا عن الحَقِّ.[49]

---

(48) قال القرطبي: (قوله تعالى: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ أي: قُرِّبت وأُدنيتْ ليَدخُلوها).
((تفسير القرطبي)) (115/13).
وقال ابن عاشور: (والمعنى: أنَّ المتَّقينَ يجِدون الجنَّةَ حاضِرةً، فلا يَتجشَّمون مشقَّةَ السَّوقِ إليها).
((تفسير ابن عاشور)) (151/19).
وقال الزجاج: (وقوله: وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ معناه قُرِّبَتْ، وتأويلُه أنَّه قرُبَ دُخولُهم إيَّاها، ونظَرُهم إليها).
((معاني القرآن وإعرابه)) (94/4).

(49) قال القرطبي: (أي: تظهَرُ جهنَّمُ لأهلِها قبْلَ أن يَدخُلوها حتى يَستشعِروا الرَّوعَ والحَزنَ، كما يستشعِرُ أهلُ الجنَّةِ الفَرَحَ لعِلمِهم أنَّهم يَدخلونَ الجنَّةَ).
((تفسير القرطبي)) (116/13).
بَيَّنَ ابنُ عطية (٦/ ٤٩٢ – ٤٩٣) أنّ المراد بالغاوين في هذا الموضع: المشركون.
وقال: «بدلالة أنهم خُوطِبوا في أمر الأصنام، والقول لهم: ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون الله﴾ هو على جهة التقريع والتوبيخ، والتوقيف على عدم نظرتهم نحوه».

وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ....

أي: وقيل للغاوينَ توبيخًا لهم: أين مَعبوداتُكم التي كنتُم تعبُدونَها في الدُّنيا مِن دونِ اللهِ، وتزعُمونَ أنَّها تنفعُكم وتشفَعُ لكم؟!

... هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93).

أي: هل تُنقِذُكم مَعبوداتُكم مِن عذابِ اللهِ، أو تُنقِذُ أنفُسَها منه؟!

فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94).

أي: فطُرِحِ في جهنَّمَ المعبودونَ وعابِدوهم بعضُهم على بعضٍ.

قال تعالى: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ [الأنبياء: 98، 99].

وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95).

أي: وطُرِحَ في جهنَّمَ جَميعُ مَن كانوا أعوانًا وأتباعًا لإبليسَ في الدُّنيا مِن الإنسِ والجِنّ.

كما قال تعالى: قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ [الأعراف: 38].

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96).

أي: قال أهلُ النَّارِ لِمَعبوداتِهم وهم في النَّارِ يتخاصَمونَ، ويجادِلُ بعضُهم بعضًا.

تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97).

أي: واللهِ إنَّنا كُنَّا في الدُّنيا في ذَهابٍ واضحٍ عن الحقِّ.

إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98).

أي: حينَ سوَّيْناكم بربِّ العالَمينَ، فعَبَدْناكم وأطَعْناكم كما يُعبَدُ اللهُ ويُطاعُ.

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99).

أي: وما صرَفَنا وأغْوانَا عن الحقِّ إلَّا الضالُّونَ.

كما قال تعالى: وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا [الأحزاب: 67].

وقال سُبحانَه: وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ [سبأ: 33].

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100).

أي: فما لنا مِن شُفَعاءَ يَشفَعونَ لنا عندَ اللهِ؛ لِيَعفوَ عنَّا، ويُخرِجَنا مِنَ النَّارِ!

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101).

أي: ولا صديقٍ، مُشفِقٍ، صادِقٍ في وُدِّه.

فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102).

أي: فلو أنَّ لنا رَجعةً إلى الدُّنيا فنُؤمِنَ باللهِ ونعمَلَ بطاعتِه، فنَسلَمَ مِن عقابِ الآخرةِ، ونَستحِقَّ ثوابَها!

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.

أي: إنَّ في ذلك المذكورِ مِن قِصَّةِ إبراهيمَ وقَومِه لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً واضِحةً على توحيدِ اللهِ وبُطلانِ الشِّركِ، وأنَّ اللهَ يعَذِّبُ يومَ القيامةِ مَن أشرَكَ به.

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُهم[50] مؤمنينَ بتوحيدِ اللهِ، مع وضوحِ المُعجِزاتِ، ونُزولِ الآياتِ.

---

(50) قيل: المرادُ بهم: قومُ إبراهيمَ.

وهو ظاهرُ اختيارِ البيضاوي، والبقاعي، والقاسمي، وابنِ عاشور.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (4/143)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (14/60)، ((تفسير القاسمي)) (7/465)، ((تفسير ابن عاشور)) (19/156).

قال الرازي: (والأكثرونَ مِن المفسِّرينَ حمَلوه على قومِ إبراهيمَ).

((تفسير الرازي)) (24/519).

وقيل: المرادُ بهم: مَن كانوا في عهدِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهم: قريشٌ ومَن دانَ بدينِهم.

كما قال تعالى: فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [العنكبوت: 26].

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104).

أي: وإنَّ رَبَّك –يا مُحمَّدُ– لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ، المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه فلا يُعاجِلُهم بعذابِه، ومِن رحمَتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمَتِه أنَّه يُنجي أتْباعَ رُسُلِه.

وممَّن قال بذلك: الشوكانيُّ، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (4/125)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 180).

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (105–122)

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ
(111) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ
(113) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (115) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا
نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117) فَافْتَحْ بَيْنِي
وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
(119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121)
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

الْأَرْذَلُونَ: أي: أهلُ الضَّعَةِ والخَساسةِ، والرَّذْلُ والرُّذالُ: المرغوبُ عنه لرَداءتِه، وأصلُه: الدُّونُ مِن كلِّ شَيءٍ.

الْمَرْجُومِينَ: جمعُ مَرْجومٍ، والرَّجْمُ الرَّميُ بالرِّجامِ، وهي الحجارةُ، ويُطلَقُ الرَّجمُ على القَتلِ بالحجارةِ، ثمَّ أُطْلِق على كلِّ قتلٍ، وإنْ لم يكُنْ بالحجارةِ، والرَّجمُ: السَّبُّ والشَّتمُ؛ لأنَّه رَميٌ بالقَولِ القَبيحِ، والرَّجمُ: أصلُه الرَّميُ.

فَافْتَحْ: أي: احكُمْ واقْضِ، ومنه قيل للقاضي: الفَتَّاحُ. والفَتحُ والفِتاحةُ: الحُكْمُ. وأصلُ (فتح): يدُلُّ على خِلافِ الإغلاقِ.

الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ: أي: السَّفينةِ المملوءةِ، وأصلُ (فلك): يدُلُّ على استدارةٍ في شَيءٍ، وأصلُ (شحن): يدُلُّ على المَلءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105).

أي: كَذَّبت قَومُ نُوحٍ[51] بجَميعِ رُسُلِ اللهِ.

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106).

أي: حينَ قال لهم نوحٌ -وهو أخوهم في النَّسَبِ-: ألَا تتَّقون اللهَ وتحذَرونَ عِقابَه، فتُوحِّدوا اللهَ، وتَتركوا عبادةَ الأصنامِ؟!

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107).

أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه الذي بعَثَني به إليكم، فأُبلِّغُكم رسالةَ اللهِ بلا زيادةٍ أو نُقصانٍ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108).

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه.

---

(51) قال ابن جُزَي: (أسنَدَ الفعلَ إلى القومِ، وفيه علامةُ التأنيثِ؛ لأنَّ القومَ في معنَى الجماعةِ والأمَّةِ). ((تفسير ابن جزي)) (93/2).

وقال البقاعي: (قَوْمُ نُوحٍ وهم أهلُ الأرضِ كُلُّهم مِن الآدَميِّينَ قبْلَ اختِلافِ الأُمَمِ بتفرُّقِ اللُّغاتِ). ((نظم الدرر)) (61/14).

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109).

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ.

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أي: ما أرجو ثَوابي إلَّا مِنَ اللهِ الخالِقِ الرَّازِقِ، المالِكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110).

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه؛ فقد بانَ لكم صِدقي.

قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111).

أي: قال كُبَراءُ قَومِ نُوحٍ المتكَبِّرون عن اتِّباعِ الحَقِّ: أنؤمِنُ لك -يا نوحُ- ونتَّبِعُك، والحالُ أنَّه قد اتَّبَعك الضعفاءُ والفقراءُ وأسافلُ الناسِ دُونَ ذَوي الشَّرفِ، فكيفَ نتساوى معهم في اتِّباعِك؟![52]

---

(52) الأرذلون: قيل: المرادُ بهم: أصحابُ الحِرَفِ الدَّنيَّةِ، وقيل: المساكينُ الذين ليس لهم مالٌ ولا عزٌّ.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (3/343)، ((تفسير الرسعني)) (5/400).

قال ابن عثيمين: (المعنى: أنَّهم قالوا: لو كان أتْباعُك الملأَ والأشـرافَ لاتَّبَعْناك، لكِنْ أتباعُك أراذِلُ النَّاسِ، مِن الفُقراءِ والسُّـوقةِ، والذين لا يُقَدِّرون الأمورَ ولا يَعرِفونَها! فهُم أراذِلُهم مِن حيث المالُ -على زعمِهم-.

ويمكِنُ أن نقولَ: إنَّهم أراذِلُهم مِن حيث الثقافةُ أيضًا والجاهُ والشرفُ، فهم أرذَلُ الأراذِلِ عندَهم).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 195).

كما قال تعالى: فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ [هود: 27].

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ وَأَتْبَاعُكَ والتقديرُ: أنؤمِنُ لك وإنَّما أتْباعُك الأرذَلون، أو أنؤمِنُ لك نحنُ وأتْباعُك الأرذَلون، فنُساويَهم فنكونَ مَرذولينَ مِثلَهم؟!(53)

2- قراءةُ وَاتَّبَعَكَ أي: وتَبِعَك الأرذَلون.(54)

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112).

أي: قال نوحٌ لِقَومِه: وما عِلمي بما كان يعمَلُ أتْباعي؟ فأنا لم أُكلَّفِ العِلمَ بأعمالِهم وأحوالِهم الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، وإنَّما أمَرني اللهُ أنْ أدعُوَهم إلى الإيمانِ، وأقبَلَ منهم إقرارَهم وتَصديقَهم وانقيادَهم، وأكتفيَ بذلك دونَ النظَرِ إلى بواطِنِهم وحِرَفِهم وصَنائِعِهم.(55)

---

(53) قرأ بها يعقوبُ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (335/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (227/2)، ((المحتسب)) لابن جني (131/2).

(54) قرأ بها الباقونَ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (335/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (227/2)، ((تفسير السمرقندي)) (561/2).

(55) قال القرطبي: (وكأنَّهم قالوا: إنَّما اتَّبعك هؤلاء الضعفاءُ طمعًا في العِزَّةِ والمالِ، فقال: إنِّي لم أقِفْ على باطنِ أمْرِهم، وإنَّما إليَّ ظاهِرُهم.

إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113).

أي: ما حِسابُ أتْباعي إلَّا على ربِّي؛ فهو الذي يعلَمُ السِّرَّ والعلانيةَ، وليس علَيَّ مَعرفةُ أعمالِهم وبواطِنِهم، وإنَّما علَيَّ التَّبليغُ، ولو كنتم تَعلَمون أنَّ حِسابَهم على اللهِ وحْدَه، وتَشعُرونَ بالأمرِ على حقيقتِه، لَما عِبتُموهم، ولمْ تَسْألوني عنهم؛ فإنْ كان ما جئتُكم به هو الحَقَّ فاتَّبِعوه.

عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ الله – ﷺ – قال: ((أُمِرتُ أن أقاتِلَ النَّاسَ حتى يَشهَدوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ الله، ويُقيموا الصَّلاةَ، ويُؤتوا الزَّكاةَ، فإذا فَعَلوا ذلك عَصَموا مِنِّي دماءَهم وأموالَهم إلَّا بحَقِّ الإسلامِ،[56] وحِسابُهم على اللهِ)).[57]

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114).

أي: ولن أطرُدَ مَن آمَنَ باللهِ واتَّبَعني.

كما قال تعالى: وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ [هود: 29].

إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (115).

وقيل: المعنَى: إنِّي لم أعلَمْ أنَّ اللهَ يَهْديهم ويُضِلُّكم، ويُرشِدُهم ويُغويكم، ويوفِّقُهم ويَخذُلُكم).
((تفسير القرطبي)) (120/13).

(56) إلَّا بحَقِّ الإسلامِ: كقَتلٍ لنَحوِ زِنا مُحصَنٍ، وقَطعٍ لِنَحوِ سَرِقةٍ، وتَغريمِ مالٍ لِنَحوِ إتلافِ مالِ الغيرِ المحترَمِ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) لعلي القاري (81/1).

(57) رواه البخاري (25)، ومسلم (22).

أي: ما بعَثَني اللهُ إلَّا نذيرًا أُوضِحُ إنذارَه لكم جميعًا؛ غنيِّكم وفقيرِكم، شريفِكم ووضيعِكم.

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116).

أي: قال المُشرِكون مِن قَومِ نُوحٍ: لَئِنْ لم تترُكْ -يا نوحُ- دَعوتَك لنا، لَنَرجُمَنَّكَ.[58]

---

(58) ممَّن اختار أنَّ المرادَ بالمرجومينَ: المقتولون: مقاتلُ بن سليمان، والسمرقندي، والبقاعي، والعليمي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/272)، ((تفسير السمرقندي)) (2/561)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (14/66)، ((تفسير العليمي)) (5/81).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ، والكلبيُّ.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (17/87)، ((تفسير البغوي)) (3/473)، ((تفسير القرطبي)) (13/121).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ بالمرجومين: المقتولون بالحجارةِ: السمعانيُّ، والنسفي، والخازن، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (4/58)، ((تفسير النسفي)) (2/573)، ((تفسير الخازن)) (3/329)، ((تفسير السعدي)) (ص: 595).

قال السعدي: (أي: لَنَقتُلَنَّك شرَّ قِتلةٍ؛ بالرمي بالحجارةِ، كما يُقتَلُ الكلبُ).

((تفسير السعدي)) (ص: 595).

وذكَر القائلون بهذا القولِ أيضًا أن القتلَ بالحجارةِ هو أشدُّ قتلٍ؛ لذلك أوعدوه به، أمَّا الشتمُ فقد كان منهم، فلا يحتمِلُ الوعيدُ به.

يُنظر: ((تفسير الماتريدي)) (8/71).

ومِن المفسِّرينَ مَن اقتصَر على تفسيرِ الْمَرْجُومِينَ بقولِه: أي: بالحجارةِ.

ومنهم: الزجاجُ، وأبو حيان، والشوكاني.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (4/95)، ((تفسير أبي حيان)) (8/177)، ((تفسير الشوكاني)) (4/126).

وقال ابن عثيمين: (الظاهرُ والأقربُ أنَّهم يقصِدون رجْمَه بالحجارةِ؛ لأنَّ الرجمَ بالقولِ قليلُ الاستعمالِ، ثمَّ إنَّ التهديدَ به مِن هؤلاء الذين يَرَوْنَ أنَّهم يتكلمون مِن مصدرِ القوَّةِ ليس بلائقٍ في المقامِ، فالصوابُ أنَّهم يُهدِّدونه بالرجمِ بالحجارةِ، واللهُ أعلَمُ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 201).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: قَتادةُ.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (17/87)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/343)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (6/311).

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117).

أي: قال نوحٌ: رَبِّ إنَّ قَومي كذَّبوني فيما جئتُهم به مِن الحقِّ، فلا نيَّةَ لهم في اتِّباعِه!

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ [القمر: 9، 10].

وقال سُبحانَه: قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا [نوح: 5-9].

فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118).

فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا.

أي: فاحكُمْ بيْني وبيْنَ قومي حُكمًا مِن عندِك، تستأصِلُ وتُهلِكُ به المُبطِلَ.

وممَّن اختار أنَّ المرادَ بالمرجومينَ: المشتومونَ: ابنُ جرير، ومكِّي، والواحدي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/603)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (8/5330)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 793).

وممَّن قال بهذا القول مِن السلفِ: الضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، والحسَنُ.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (17/87)، ((تفسير البغوي)) (3/473)، ((تفسير القرطبي)) (13/121)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (6/311).

ذكر ابنُ عطية (٦/ ٤٩٦) أن قولهم: ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أن يريدوا: بالحجارة، ويحتمل أن يريدوا: بالقول والشتم ونحوه، ثم علَّق على الاحتمال الثاني بقوله: «وهو شبيه برجم الحجارة، وهو من الرجم بالغيب والظن ونحو ذلك».

وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

أي: ونجِّني وأتْباعي المؤمِنينَ مِن عذابِك الذي تُنزِلُه على المُبطِلينَ.

فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119).

أي: فأنجَيْنا نوحًا ومَن حُمِلَ معه في السَّفينةِ المملوءةِ بالنَّاسِ والحيواناتِ والطُّيورِ وغَيرِها.

كما قال تعالى: قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ [هود: 40].

وقال سُبحانَه: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ [العنكبوت: 15].

ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120).

أي: ثمَّ أغرَقْنا جميعَ الكافرين الذين بَقُوا، فلمْ يَركَبوا السَّفينةَ.

كما قال تعالى: فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ [العنكبوت: 14].

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.

أي: إنَّ في إنجاءِ نوحٍ وأتباعِه المؤمنينَ، وإهلاكِ المكَذِّبين به، لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً واضِحةً على توحيدِ اللهِ، وصِدقِ رُسُلِه، وبُطلانِ الشِّركِ.

كما قال تعالى: وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً [الفرقان: 37].

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ نوحٍ مُؤمنينَ.

كما قال تعالى: وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ [هود: 40].

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122).

أي: وإنَّ رَبَّك –يا مُحَمَّدُ– لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبَيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (123–140)

كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ (127) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ
تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131) وَاتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
الْوَاعِظِينَ (136) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138) فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
(140)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

رِيعٍ: أي: مكانٍ مُرتَفعٍ مِن الأرضِ، وأصلُ (ريع): يدُلُّ على ارتِفاعٍ وعُلوٍّ.

آيَةً: أي: بناءً عاليًا، وأعلامًا طِوالًا، وأصلُ الآيةِ: العَلامةُ

تَعْبَثُونَ: أي: تَلعَبون، وأصلُ (عبث): يدُلُّ على الخَلطِ.

مَصَانِعَ: أي: مَنازِلَ، وحُصونًا، وقُصورًا مُشَيَّدةً، وقيل: صهاريجُ أحواض عَميقةٌ تُتَّخَذُ للماءِ، وأصلُ (صنع): يدُلُّ على عَمَلِ الشَّيءِ.

تَخْلُدُونَ: أي: تُقيمون فلا تموتونَ، وأصلُ (خلد): يدُلُّ على الثَّباتِ والمُلازَمةِ.

بَطَشْتُمْ: أي: عاقبتُم وضَربتُم، وأصلُ (بطش): يدُلُّ على أخذِ الشَّيءِ بقَهرٍ وغَلَبةٍ.

جَبّارِينَ: أي: قتَّالينَ بغيرِ حَقٍّ، وأصلُ (جبر): يدُلُّ على العُلوِّ والقَهرِ.

أَوَعَظْتَ: الوَعظُ: زجْرٌ مُقترنٌ بتخويفٍ، وتذكيرٌ بالخَيرِ وما يَرِقُّ له القَلبُ.

خُلُقُ الْأَوَّلِينَ: أي: عادتُهم وشأنُهم ودينُهم، وأصلُ (خلق) هنا: تقديرُ الشَّيءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123).

أي: كذَّبَتْ قبيلةُ عادٍ بجَميعِ رُسُلِ الله.

كما قال تعالى: وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ [هود: 59].

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124).

أي: كذَّبوا هودًا -وهو أخوهم في النَّسَبِ- حينَ قال لهم: ألَا تتَّقون اللهَ، وتحذَرون عِقابَه، فتُوحِّدوه، وتَتركوا عبادةَ الأصنامِ؟

كما قال تعالى: وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ [الأعراف: 65].

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125).

أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه الذي بعثَني به إليكم، فأبَلِّغُكم رسالتَه بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ.

كما قال تعالى: وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ [الأعراف: 67-68].

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126).

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه.

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127).

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ.

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أي: ما أرجو ثَوابي إلَّا مِن اللهِ الخالِقِ الرَّازِقِ، المالِكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ دونَ غَيرِه.

كما قال تعالى: يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ [هود: 51].

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128).

أي: قال هودٌ لِقَومِه: أتَبنونَ بكُلِّ مَكانٍ مُرتَفِعٍ بناءً عاليًا مُرتَفِعًا؛(59) دَلالةً على قوَّتِكم وشِدَّتِكم، وتتَّخِذونَ ذلك فَخرًا وإظهارًا للقُدرةِ والعَظَمةِ، مِن غيرِ حاجةٍ ونفعٍ حقيقيٍّ يعودُ عليكم؟!

---

(59) قال ابن دُرَيْد: (الرِّيعُ: العُلُوُّ من الأرضِ حتى يمتَنِعَ أن يُسلَكَ).

((جمهرة اللغة)) (776/2).

أفادت الآثار اختلاف عبارات المفســرين في الرِّيع، وهو ما علَّق عليه ابنُ عطية (٦/ ٤٩٧) بقوله: «وجملة ذلك: أنَّه المكان المُشْرِف، وهو الذي يتنافس البشر في هيآته».

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((مرَّ عليَّ رسولُ الله – ﷺ – ونحن نعالجُ خُصًّا[60] لنا وَهَى،[61] فقال: ما هذا؟ فقُلْنا: خُصٌّ لنا وهَى، فنحن نُصلِحُه، فقال رسولُ الله – ﷺ –: ما أرى الأمرَ إلَّا أعجَلَ مِن ذلك)).[62]

وعن قيسِ بن أبي حازمٍ، قال: (دخَلْنا على خَبَّابٍ نَعودُه، وقد اكتوى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فقال: إنَّ أصحابَنا الذينَ سَلَفوا مَضَوا ولم تَنقُصْهم الدُّنْيا، وإنَّا أصَبْنا ما لا نجِدُ له مَوضِعًا إلَّا التُّرابَ، ولولا أنَّ النبيَّ – ﷺ – نَهانا أن ندعوَ بالموتِ لدَعوتُ به. ثمَّ أتَيْناه مرَّةً أخرى وهو يَبني حائطًا له، فقال: إنَّ المُسلِمَ لَيُؤجَرُ في كُلِّ شَيءٍ يُنفِقُه، إلَّا في شَيءٍ يَجعلُه في هذا التُّرابِ)[63].[64]

وذكر ابنُ كثير (١٠/ ٣٥٩) أنّ حاصل أقول المفسرين في الريع: أنّه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة.

(60) الخصُّ: بيتٌ يُعملُ مِن الخَشبِ والقَصبِ.

يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (37/2).

(61) أي: خرِب أو كاد.

يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (234/5).

(62) أخرجه أبو داود (5236) واللفظ له، والترمذي (2335)، وابن ماجه (4160)، وأحمد (6502).

قال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.

وأخرجه ابن حبَّانَ في ((صحيحه)) (2996)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (10/4)، وصحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (5236).

(63) أي: الذي يُوضَعُ في البنيانِ، وهو محمولٌ على ما زاد على الحاجةِ.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (129/10).

(64) رواه البخاري (5672).

قال ابن حجر: (هذا كلُّه محمولٌ على ما لا تمَسُّ الحاجةُ إليه ممَّا لا بدَّ منه للتوطُّنِ، وما يقي البردَ والحَرَّ). ((فتح الباري)) (93/11).

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129).

أي: وتَصنَعونَ بِناياتٍ مُحكَمةً،(65) كأنَّكم تَخلُدونَ في الدُّنيا!(66)

---

(65) اختُلِف في معنى المصانع؛ فقال قوم: قصور مشيدة.

وقال آخرون: مآخذ الماء.

ورجَّح ابنُ جرير (١٧/ ٦١٢) جميعها للعموم، فقال: «والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إنّ المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء: مصنعة.

وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورًا وحصونًا مشيدة، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مِمّا يُدرَك مِن جهة العقل؛ فالصواب أن يُقال فيه ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع».

قيل: المصانِعُ: هي الصهاريجُ والخزَّاناتُ والأحواضُ التي تجمعُ الماءَ.

وممَّن قال بذلك في الجملةِ: الزجَّاجُ، والسمعانيُّ، والزمخشري، وجلال الدين المحلي، وابن عاشور.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (96/4)، ((تفسير السمعاني)) (59/4)، ((تفسير الزمخشري)) (326/3)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 488)، ((تفسير ابن عاشور)) (166/19).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: قَتادةُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (611/17).

وقيل: هي الحصونُ.

وممَّن قال بذلك: العليمي.

يُنظر: ((تفسير العليمي)) (83/5).

قال ابنُ قُتَيْبةَ: («المَصَانِعُ» البناءُ...

وكأنَّ المعنى: أنَّهم كانوا يَستوثِقون في البناءِ والحُصونِ، ويذهبونَ إلى أنَّها تحَصِّنُهم مِن أقدارِ الله عزَّ وجلَّ).

((غريب القرآن)) (ص: 319).

وقيل: هي القصورُ.

وممَّن قال بذلك: مقاتلُ بنُ سليمان، وابن أبي زمنين، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (274/3)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (282/3)، ((تفسير القاسمي)) (467/7).

قال ابن عطية: («المصانع» جمعُ مصنع، وهو ما صُنِع وأُتقِنَ في بنائِه مِن قصرٍ مَشيدٍ ونحوِه).

((تفسير ابن عطية)) (238/4).

ويُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (ص: 1304).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباس، ومجاهدٌ، والحسنُ، والكلبي.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (514/2)، ((تفسير ابن جرير)) (611/17)، ((تفسير البغوي)) (474/3).

وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130).

وممَّن جمَع بيْنَ هذَينِ القولَينِ في الجملةِ: الواحديُّ، فقال: (قوله: وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ [الشعراء: 129] المصانعُ: التي يتخِذُها الناسُ مِن الأبنيةِ والآبارِ).

((الوسيط)) (359/3).

قال ابنُ جرير: (الصوابُ من القولِ في ذلك أنْ يُقالَ: إنَّ المصانعَ جمعُ مَصنعةٍ، والعربُ تُسمِّي كلَّ بناءٍ مَصنعةً، وجائزٌ أن يكونَ ذلك البناءُ كان قصورًا وحصونًا مُشيَّدةً، وجائزٌ أن يكونَ كان مآخِذَ للماءِ، ولا خبرَ يقطَعُ العُذرَ بأيِّ ذلك كان، ولا هو مما يُدرَكُ مِن جهةِ العقلِ.

فالصوابُ أنْ يُقالَ فيه ما قال اللهُ: إنَّهم كانوا يتَّخِذونَ مصانِعَ).

((تفسير ابن جرير)) (611/17).

(66) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (611/17، 612)، ((تفسير البغوي)) (474/3)، ((تفسير القرطبي)) (123/13)، ((تفسير ابن كثير)) (152/6، 153)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (70/14)، ((تفسير السعدي)) (ص: 595)، ((تفسير ابن عاشور)) (166/19).

واختلف المفسِّرون في قولِه تعالى: لَعَلَّكُمْ ؛ فقيل: هي على بابِها للترجِّي.

وممَّن قال بذلك: ابنُ عاشورٍ، وابنُ عثيمينَ.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (168/19)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 223).

وقيل: هي للتَّشبيهِ، بمعنى: كأنَّ.

وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، والواحديُّ –ونسبَه إلى أكثَرِ المفسِّرينَ–، والبغويُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (612/17)، ((الوسيط)) للواحدي (359/3)، ((تفسير البغوي)) (474/3).

قال الواحديُّ: (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ أي: كأنَّكم تخلُدونَ، قاله أكثَرُ المفسِّرينَ، والمعنى: أنَّهم كانوا يَستوثِقونَ المصانعَ كأنَّهم يَخلُدونَ فيها ولا يموتونَ، و«لعلَّ» يأتي في الكلامِ بمعنى «كأنَّ»).

((الوسيط)) (359/3).

وقيل: هي للتَّعليلِ بمعنى (كَيْ)، وممَّن ذهب إلى ذلك: الفرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبةَ، وابنُ كثير.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (281/2)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 319)، ((تفسير ابن كثير)) (153/6).

قال الرازي: (إنَّما صار مذمومًا؛ لدَلالتِه على الأملِ الطويلِ، والغفلةِ عن أنَّ الدنيا دارُ ممَرٍّ، لا دارُ مقَرٍّ).

((تفسير الرازي)) (523/24).

قال ابنُ قُتَيْبةَ: (وكأنَّ المعنى: أنَّهم كانوا يَستوثِقونَ في البناءِ والحصونِ، ويذهبون إلى أنَّها تُحصِّنُهم مِن أقدارِ اللهِ عزَّ وجلَّ).

((غريب القرآن)) (ص: 319).

ويُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (281/2).

أي: وإذا أخَذْتُم النَّاسَ وقَهَرْتُموهم، فإنَّكم تُفرِطون في أذيَّتِهم عُدوانًا وظُلمًا، كأنْ يَقتُلوهم، أو يَضرِبوهم بقَسوةٍ بغيرِ حَقٍّ.

كما قال تعالى: فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ [فصلت: 15].

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131).

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه؛ فقد بانَ لكم صِدقي.

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132).

أي: واتَّقوا اللهَ الذي أعطاكم ما تعلَمونَ مِن النِّعَمِ والخَيراتِ المُتتابِعةِ.

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133).

أي: أعطاكم اللهُ ما تَعلمونَ مِن المواشي، والأبناءِ الذُّكورِ.

وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134).

أي: وأعطاكم اللهُ ما تعلمون مِنَ البساتينِ، وعُيونِ الماءِ.[67]

(67) والعيونُ قيل: هي الأنهارُ.

وممَّن قال بذلك: مقاتلُ بن سليمان، وابن جرير، والسمرقندي، والسمعاني، والبغوي.

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135).

أي: إنِّي أخافُ أن يُصيبَكم مِنَ الله عذابُ يومٍ عظيمِ الأهوالِ، إنْ أصرَرْتُم على الكُفرِ والتَّكذيبِ.

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (136).

أي: قال قَومُ هودٍ لِنبيِّهم: يستوي عندَنا وَعْظُك لنا وتَركُك له، فلن نؤمِنَ بك، ولن نترُكَ دينَنا.

كما قال تعالى: قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ [هود: 53].

إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137).

أي: ما هذا الذي نحن عليه إلَّا عادةُ آبائِنا الأوَّلين، ونحنُ تابعونَ لهم، سالِكونَ وراءَهم.(68)

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (265/3)، ((تفسير ابن جرير)) (613/17)، ((تفسير السمرقندي)) (562/2)، ((تفسير السمعاني)) (60/4)، ((تفسير البغوي)) (475/3).

وقال ابن عثيمين: (فالعيونُ هي التي تنبُعُ مِن الأرضِ، والأنهارُ كما هو معروفٌ لا تنبُعُ مِن الأرضِ، وإنَّما تأتي مِن الأمطارِ والسيولِ وغيرِها).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 228).

وقال الشوكاني: (أنهار، وأبيار).

((تفسير الشوكاني)) (128/4).

(68) اختُلِف في قراءة قوله: ﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾؛ فقرأ قوم: ﴿خُلُق﴾.

وقرأ آخرون: «خَلْقُ».

وذكر ابنُ جرير (١٧/ ٦١٤) أنّ قراءة الضم بمعنى: ما هذا الذي تفعله إلا عادة الأولين مِن قبلنا، وأن الثانية بمعنى: ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم.

وبنحوه ابنُ كثير (١٠/ ٣٦٠)، وكذا ابنُ عطية (٦/ ٤٩٨ - ٤٩٩).

وزاد ابنُ عطية أن قراءة الفتح والتسكين تحتمل أيضًا أن يريدوا: وما هذه البنية التي نحن عليها إلا البنية التي عليها الأولون، حياة وموت، وما ثَمَّ بعث ولا تعذيب.

ورجَّح ابنُ جرير (١٧/ ٦١٦ - ٦١٧ بتصرف) قراءة الضم مستندًا إلى السياق، والقول بأنّ الخلق: العادة؛ الذي قاله ابن عباس من طريق علي، وقتادة، وابن سلام، فقال: «وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة مَن قرأ: ﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ بضم الخاء واللام ...

لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه، وبطشهم بالناس بطش الجبابرة، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم، فأجابوا نبيَّهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك احتذاءً منهم سُنَّة مَن قبلهم مِن الأمم، واقتفاء منهم آثارهم، فقالوا: ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأولين، يعنون بالخلق: عادة الأولين.

ويزيد ذلك بيانًا وتصحيحًا لما اخترنا مِن القراءة والتأويل قولهم: ﴿وما نحن بمعذبين﴾؛ لأنهم لو كانوا لا يُقِرُّون بأنّ لهم ربًّا يقدر على تعذيبهم ما قالوا: ﴿وما نحن بمعذبين﴾، بل كانوا يقولون: إن هذا الذي جئتنا به -يا هود- إلا خلْق الأولين، وما لنا مِن معذب يعذبنا، ولكنهم كانوا مُقِرِّين بالصانع، ويعبدون الآلهة، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها، ويقولون: إنها تُقَرِّبنا إلى الله زُلفى، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته: ﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾، ثم قالوا له: ما هذا الذي نفعله إلا عادة مَن قبلنا وأخلاقهم، وما الله مُعَذِّبنا عليه، كما أخبرنا -تعالى ذِكْرُه- عن الأمم الخالية قبلنا أنَّهم كانوا يقولون لرسلهم: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [الزخرف: ٢٣]».

ممَّن اختار في الجملةِ أنَّ المرادَ: عادةُ الأوَّلينَ وطبيعتُهم ودأبُهم: ابنُ جرير، والزجَّاجُ، والسمرقندي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والخازن، وجلال الدين المحلي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (616/17)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (97/4)، ((تفسير السمرقندي)) (562/2)، ((تفسير السمعاني)) (60/4)، ((تفسير البغوي)) (475/3)، ((تفسير ابن عطية)) (239/4)، ((تفسير الخازن)) (330/3)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 488).

قال الواحديُّ: (وله [أي: القولِ بأنَّ المرادَ: العادةُ] تأويلان؛ أحدُهما: أنَّهم قالوا: ما هذا الذي نحن فيه إلَّا عادةُ الأوَّلينَ مِن قَبْلِنا، يعيشون ما عاشوا، ثمَّ يموتونَ، ولا بَعثَ ولا حِسابَ.

والثاني: ما هذا الذي أنكَرْتَ علينا مِن الشأنِ والبَطشِ إلَّا عادةُ مَن قَبْلَنا؛ فنحن على ما كانوا عليه نَقتدي بهم).

((البسيط)) (101/17).

وقال ابنُ كثيرٍ: (خُلُقُ الْأَوَّلِينَ...

يَعْنونَ: دينَهم وما هم عليه مِنَ الأمرِ هو دينُ الأوائلِ مِنَ الآباءِ والأجدادِ، ونحنُ تابعونَ لهم، سالِكونَ وراءَهم، نعيشُ كما عاشوا، ونموتُ كما ماتوا، ولا بعثَ ولا معادَ؛ ولهذا قالوا: وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ).

((تفسير ابن كثير)) (154/6).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ خَلْقُ قيل: بمعنى: كَذِب، أي: ما هذا الذي أتَيْتَنا به مِن الدِّينِ ووعَدْتَنا مِن البَعثِ والعذابِ إلَّا كَذِبُ الأوَّلينَ، ومِن أحاديثِهم المُختَلَقةِ. وقيل: المرادُ إنكارُهم البَعثَ، أي: خُلِقْنا كما خُلِقَ الأوَّلون مِن قَبْلِنا، فنحنُ مِثلُهم نحيا ونموتُ ولا نُبعَثُ![69]

2- قِراءةُ خُلُقُ بمعنى: عادةِ آبائِنا الأوَّلينَ.[70]

وقال السعدي: (أي: هذه الأحوالُ والنِّعَمُ ونحوُ ذلك عادةُ الأوَّلينَ؛ تارةً يَستغنون، وتارةً يفتَقِرون، وهذه أحوالُ الدَّهرِ، لا أنَّ هذه مِحَنٌ ومِنَحٌ مِن اللهِ تعالى، وابتلاءٌ لعبادِه).

((تفسير السعدي)) (ص: 595).

ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (14/72).

وقال ابن عاشور: (الإشارةُ تنصرِفُ إلى ما هم عليه الَّذي نَهاهم عنه رسولُهم.

ويجوزُ أنْ يَكونوا أرادوا ما يَدْعو إليه رسولُهم: أي: ما هو إلَّا مِن خُلُقِ أناسٍ قَبْلَه، أي: مِن عقائدِهم وما راضوا عليه أنفسَهم، وأنَّه عَبَرَ عليها وانْتَحَلها، أي: ما هو بإذْنٍ مِن اللهِ).

((تفسير ابن عاشور)) (19/172).

ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (4/239).

(69) قرأ بها ابنُ كثيرٍ، وأبو عَمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وأبو جعفرٍ.

يُنظر: ((تحبير التيسير)) لابن الجزري (ص: 488).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/274)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 268)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 518)، ((الكشف)) لمكّي (2/151).

(70) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((تحبير التيسير)) لابن الجزري (ص: 488).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (2/228)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 518)، ((الكشف)) لمكّي (2/151).

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138).

أي: ولن يُعَذِّبنا اللهُ في الدُّنيا، ولن يبعَثَنا بعدَ مَوتِنا لِيُعذِّبَنا في الآخرةِ.

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139).

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ.

أي: فكذَّب المُشرِكون مِن قَومِ عادٍ رَسولَهم هودًا، فأهلَكْناهم في الدُّنيا.

كما قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ [فصلت: 16].

وقال سُبحانَه: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ [الحاقة: 6 – 8].

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.

أي: إنَّ في إهلاكِ قَومِ هُودٍ لَعِظةً وعِبرةً ودَلالةً واضِحةً على صِدقِ رسولِه.

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: ولم يكُنْ أكثرُ قَومِ هُودٍ مُؤمِنينَ حقًّا، معَ وجودِ الآياتِ المُقتَضيةِ لإيمانِهم.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (140).

أي: وإنَّ ربَّك -يا مُحمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ، المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبَيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعد إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (141–159)

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)
وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155)
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156)
فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157)
فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

طَلْعُهَا: أي: ما يَطلُعُ منها، وهو الثَّمَرُ، سُمِّي طَلْعًا؛ لطُلوعِه كُلَّ سَنةٍ، وأصلُ (طلع): يدُلُّ على ظُهورٍ وبُروزٍ.

هَضِيمٌ: أي: يانعٌ لَيِّنٌ نَضيجٌ، والهَضيمُ: هو المتكَسِّرُ مِن لِينِه ورطوبتِه، مِن قَولِهم: هضم فلانٌ فُلانًا حَقَّه: إذا انتقَصه، فكذلك الهَضمُ في الطَّلعِ، إنَّما هو التنَقُّصُ منه مِن رطوبتِه ولِينِه؛ إمَّا بمَسِّ الأيدي، وإمَّا بركوبِ بَعضِه بعضًا، وأصلُ (هضم): يدُلُّ على كَسْرٍ، وضَغْطٍ، وتداخُلٍ.

وَتَنْحِتُونَ: أي: تَنجُرونَ وتَصنَعونَ، والنَّحتُ: بَريُ الحجَرِ والخَشَبِ وتَسويتُهما على تقديرٍ مَخصوصٍ.

فَارِهِينَ: أي: حاذِقينَ بنَحتِها، وأصلُ (فره): يدُلُّ على أشَرٍ وحِذْقٍ.

الْمُسَحَّرِينَ: أي: الذين بُولِغَ في سِحرِهم مرَّةً بعْدَ مرَّةٍ حتى غَلَب على عُقولِهم. وقيل: أي: مِن ذَوي السَّحْرِ، أي: الرِّئةِ، فهو كنايةٌ عن كونِه مِنَ الأناسيِّ. وأصلُ (سحر) هنا: يدُلُّ على خَدْعٍ وشِبْهِه، وعلى عُضوٍ مِنَ الأعضاءِ.

شِرْبٌ: أي: حَظٌّ ونَصيبٌ مِن الماءِ، والشُّربُ: تناوُلُ كلِّ مائعٍ، ماءً كان أو غيرَه.

فَعَقَرُوهَا: أي: فنحَروها وقَتَلوها، وأصلُ العَقْرِ: ضَرْبُ قوائمِ البعيرِ بالسيفِ، وهو قائِمٌ، ثمَّ جُعِل النَّحرُ عقرًا؛ لأنَّ العَقْرَ سببٌ لنحرِه، وناحِرُ البعيرِ يعقِرُه ثمَّ ينحرُه، واستُعمِل العقرُ أيضًا في القتلِ والهلاكِ، وأصلُ (عقر): يدُلُّ على جَرحٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141).

أي: كذَّبتْ قبيلةُ ثَمودَ بجَميعِ رُسُلِ اللهِ.

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142).

أي: حينَ قال لهم صالِحٌ -وهو أخوهم في النَّسَبِ، فهم يَعرِفون صِدقَه وأمانَتَه وشَفَقتَه عليهم-: ألَا تتَّقون اللهَ، وتَحذَرونَ عِقابَه؟

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143).

أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه الذي بعَثَني به إليكم، فأُبلِّغُكم ما أُرسِلتُ به بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144).

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه.

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145).

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ.

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أي: ما أرجو ثوابي إلَّا مِن اللهِ الخالِقِ الرازِقِ، المالِكِ المدبِّرِ لجميعِ العالَمين دونَ خَلقِه.

أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146).

أي: أتظُنُّون أنَّ اللهَ يترُكُكم تتنعَّمون في هذه الخَيراتِ آمنينَ لا تخافونَ؟!

فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147).

أي: في بَساتينَ وعُيونِ ماءٍ.

وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148).

أي: وفي زُروعٍ ونَخلٍ طلْعُها لَيِّنٌ رَطْبٌ.

وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149).

أي: وتَنحِتون مِنَ الجِبالِ بُيوتًا لكم حاذِقِينَ بنَحتِها.

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ صالحٍ عليه السلامُ لِقَومِه: وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا [الأعراف: 74].

وقال تعالى: وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آَمِنِينَ [الحجر: 82].

وقال سبحانه: وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ [الفجر: 9].

القِراءاتُ ذاتُ الأَثَرِ فِي التَّفسيرِ:

1- قراءةُ فَارِهِينَ أي: حاذِقِينَ بنَحتِها.

2- قِراءةُ فَرِهِينَ أي: أَشِرين بَطِرينَ. وقيل: القراءتانِ بمعنًى واحدٍ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150).

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به وأنهاكم عنه؛ فقد بانَ لكم صِدقي.

وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151).

أي: ولا تَنقادوا لأمرِ المُسرِفين، الذين تمادَوا وتجاوَزوا الحَدَّ في الكُفرِ باللهِ ومَعصيتِه.

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152).

أي: الذين يُفسِدون في الأرضِ بالكُفرِ والظُّلمِ والمعاصي والدَّعوةِ إلى ذلك، ولا يُصلِحونَ أنفُسَهم بالعَمَلِ الصَّالحِ، ولا يأمُرونَ غيرَهم بالصَّلاحِ.

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153).

أي: قال قومُ صالحٍ: إنَّما أنت مِن المسحورينَ الذين بُولِغَ في سِحرِهم مرَّةً بعْدَ مرَّة، فلا عقْلَ لك، وإنَّما تَهذِي بما لا مَعنى له.(71)

مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154).

مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا.

أي: ما أنت إلَّا آدميٌّ مِثلُنا، فكيف خصَّك اللهُ بالرِّسالةِ مِن بيْنِنا حتى نتَّبِعَك؟!

كما قال تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ [القمر: 23 – 25].

---

(71) اختُلِف في معنى قوله: ﴿إنما أنت من المسحرين﴾؛ فقال قوم: من المسحورين.
وقال آخرون: من المخلوقين.
وذكر ابنُ عطية (٦/ ٥٠٠) أنّ القول الأول مأخوذ من السِّحر، أي: قد سُحرت؛ فأنت لذلك مخبول، لا تنطق بقويم.
والثاني مأخوذ من السَّحر، وهي الرئة.
ورجّح ابنُ جرير (١٧/ ٦٢٥ – ٦٢٦) مستندًا إلى اللغة القولَ الثاني الذي قاله ابن عباس، فقال: «والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي ذكرته عن ابن عباس، أنّ معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يُعَلَّلون بالطعام والشراب مثلنا، ولست ربًّا ولا ملَكًا فنطيعك، ونعلم أنّك صادق فيما تقول.
والمسحَّر: المفعَّل من السحرة، وهو الذي له سحْرَة».
ورجّح ابنُ عطية (٦/ ٥٠٠) مستندًا إلى السياق القول الثاني، فقال: «وقيل: السَّحر: قصبة الرئة وما يتعلق بها من كبد وغيره، أي: أنت ابن آدم، لا يصح أن تكون رسولًا عن الله.
وما بعده في الآية يُقَوّي هذا التأويل».
ورجَّح ابنُ كثير (١٠/ ٣٦٤) القول الأول، فقال: «والأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة: أنهم يقولون: إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك».
ولم يذكر مستندًا.

فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

أي: فأْتِ بحُجَّةٍ تدُلُّ بوُضوحٍ على صحَّةِ ما تقولُ إن كنتَ مِن الصَّادقِينَ في أنَّك رَسولٌ مِن اللهِ إلينا حَقًّا.

قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155).

أي: قال صالحٌ لِقَومِه: هذه ناقةٌ جعَلَها اللهُ لكم آيةً تدُلُّ على صِدقي، لها حَظٌّ ونَصيبٌ مِن الماءِ في يومٍ لا تُشارِكونَها فيه، ولكم حظٌّ ونَصيبٌ مِن الماء في يومٍ لا تُشارِكُكم فيه.

كما قال تعالى: قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ [الأعراف: 73].

وقال سُبحانَه: وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ [هود: 64].

وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156).

أي: ولا تَمَسُّوا النَّاقةَ بأيِّ أذًى كائنًا ما كان؛ فإنَّكم إن فعلتُم يُصيبُكم مِنَ اللهِ عذابُ يومٍ عظيمِ الأهوالِ.

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ صالحٍ لِقَومِه: وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [الأعراف: 73].

فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157).

أي: فقتَلَ قَومُ صالحٍ النَّاقةَ، فأصبَحوا نادِمينَ على ذلك حينَ أيقَنوا بالعَذابِ.

فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158).

فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ.

أي: فأهلَكَهم اللهُ بالعذابِ الذي توعَّدَهم به نبيُّهم.

كما قال تعالى: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ [الأعراف: 77، 78].

وقال تعالى: وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ [هود: 67].

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.

أي: إنَّ في إهلاكِ قَومِ صالحٍ لَعِظةً، وعِبرةً، ودَلالةً على صِدقِ رَسوله.

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قومِ صالحٍ مُؤمنينَ.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159).

أي: وإنَّ رَبَّك –يا مُحمَّدُ– لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ، المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبَيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (160–175)

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ
رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ
(169) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ
(172) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)

غَريبُ الكَلِماتِ:

أَتَأْتُونَ: أي: أتنكِحونَ، والإتيانُ يُقالُ للمَجيءِ بالذَّاتِ وبالأمرِ وبالتَّدبيرِ.

وَتَذَرُونَ: أي: تَترُكون وتَدَعون، وفلانٌ يَذَرُ الشَّيءَ، أي: يَقذِفُه؛ لقِلَّةِ اعتِدادِه به.

عَادُونَ: أي: مُتجاوِزون لحُدودِ اللهِ، ومُعتَدون، وأصلُ (عدو): يدُلُّ على تجاوُزٍ في الشَّيءِ.

الْقَالِينَ: أي: المُبغِضينَ المُنكِرين، وأصلُ القلي: شِدَّةُ البُغضِ.

الْغَابِرِينَ: أي: الباقينَ في العَذابِ، والغابرُ مِن الأضْدادِ؛ يُقالُ: غابرٌ للباقي، و: غابرٌ للماضي، وأصلُ (غبر): يدُلُّ على البَقاءِ.

فَسَاءَ: أي: قَبُحَ، والسُّوءُ: اسمٌ جامِعٌ للآفاتِ، وأصلُ (سوء): يدُلُّ على قُبحٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160).

أي: كذَّبت جماعةُ قَومِ لُوطٍ[72] بجَميعِ رُسُلِ اللهِ.

كما قال تعالى: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ [الحج: 42، 43].

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161).

أي: حينَ قال لهم أخوهم لوطٌ:[73] ألَا تتَّقون اللهَ، وتَحذَرونَ عِقابَه؟

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162).

أي: إنِّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحْيِه الذي بعَثَني به إليكم، فأبلِّغُكم ما أُرسِلتُ به إليكم بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ.

---

(72) القومُ في معنى الجماعةِ أو الأُمَّةِ أو القبيلةِ؛ لذا قال: كَذَّبَتْ بالتأنيثِ.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (4/95)، ((تفسير ابن جزي)) (2/92)، ((تفسير الشوكاني)) (4/126).

(73)

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163).

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه.

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164).

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ.

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أي: ما أرجو ثَوابي إلَّا مِن اللهِ الخالِقِ الرَّازِقِ، المالكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ دونَ خَلقِه.

أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165).

أي: أتَنكِحونَ الذُّكورَ مِن النَّاسِ؟! لم يَسبِقْكم إلى ابتِداعِ هذه الفاحشةِ أحدٌ![74]

(74) قال البيضاوي: (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ أتأتون -مِن بينِ مَن عَداكم مِن العالَمينَ- الذُّكرانَ، لا يُشارِكُكم فيه غيرُكم، أو: أتأتونَ الذُّكرانَ مِن أولادِ آدمَ مع كثرتِهم، وغلبةِ الإناثِ فيهم كأنهنَّ قد أعوزْنَكم، فالمرادُ بـــ الْعَالَمِينَ على الأوَّلِ كلُّ مَن يُنكَحُ، وعلى الثاني الناسُ).

((تفسير البيضاوي)) (147/4).

قال الشوكاني: (الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ، وهم بنو آدمَ، أو كلُّ حيوانٍ).

((تفسير الشوكاني)) (131/4).

ممَّن اختار أنَّ المرادَ بـ (العالَمينَ): الناسُ مِن بني آدمَ: ابنُ جرير، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والنسفي، والخازن، وجلال الدين المحلي، والعليمي، والألوسي، وابنُ عثيمين.

كما قال تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ [الأعراف: 80، 81].

وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166).

وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (629/17)، ((الوسيط)) للواحدي (361/3)، ((تفسير البغوي)) (477/3)، ((تفسير ابن الجوزي)) (346/3)، ((تفسير النسفي)) (577/2)، ((تفسير الخازن)) (331/3)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 490)، ((تفسير العليمي)) (92/5)، ((تفسير الألوسي)) (113/10)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 259).

وقال الزمخشري: (أراد بـــ الْعَالَمِينَ: الناسَ، أي: أتأتونَ مِن بينِ أولادِ آدمَ عليه السلامُ -على فَرطِ كثرتِهم، وتفاوتِ أجناسِهم، وغلَبةِ إناثِهم على ذكورِهم في الكثرةِ- ذُكْرانَهم، كأنَّ الإناثَ قد أعوزْنَكم!).

((تفسير الزمخشري)) (329/3).

وقال ابن عاشور: (فالمعنى: مفصولينَ مِن العالَمينَ، لا يماثِلُكم في ذلك صِنفٌ مِن العالَمينَ.

وهذا المعنى جوَّزه في «الكشَّاف» ثانيًا، وهو أوفقُ بمعنى: العالَمينَ، الذي المختارُ فيه أنَّه جمعُ (عالَم)، بمعنى النوعِ مِن المخلوقاتِ...

والمعنى: أتأتون الذُّكرانَ مخالِفينَ جميعَ العالَمينَ مِن الأنواعِ التي فيها ذكورٌ وإناثٌ؛ فإنَّها لا يوجَدُ فيها ما يأتي الذكورَ).

((تفسير ابن عاشور)) (179/19).

وقال البقاعي: (ولعلَّهم كانوا يفعلون بالذُّكورِ مِن غيرِ الآدميِّينَ؛ توغُّلًا في الشَّـرِّ، وتجاهرًا بالتهتُّك؛ لقولِه: مِنَ الْعَالَمِينَ أي: كُلِّهم، أو يكونُ المعنى: مِن بيْنِ الخلائقِ، أي: أنَّكم اختصَصْتُم بإتيانِ الذُّكرانِ، لم يفعَلْ هذا الفِعلَ غيرُكم مِن الناكحينَ مِن الخَلقِ).

((نظم الدرر)) (81/14).

وقال ابنُ كثير: (نهاهم عن معصيةِ الله، وارتكابِ ما كانوا قد ابتدعوه في العالَمِ، ممَّا لم يسبِقْهم الخلائقُ إلى فِعلِه، مِن إتيانِ الذُّكرانِ دونَ الإناثِ).

((تفسير ابن كثير)) (157/6).

أي: وتَترُكونَ ما خلَقَه لكم ربُّكم مِن نسائِكم،(75) وقد أَحَلَّ لكم الاستِمتاعَ بهنَّ!

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ.

أي: بل أنتم قَومٌ مُجاوِزونَ الحَدَّ في معصيةِ اللهِ، وتَتجاوَزونَ ما أحَلَّه لكم ربُّكم إلى ما حَرَّمه عليكم.(76)

(75) ممَّن قال: إنَّ المرادَ بقولِه: مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ: فروجُ النساءِ: مقاتل بن سليمان، وابن جرير، وابن أبي زمنين، والواحدي، والقرطبي، والخازن.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (3/277)، ((تفسير ابن جرير)) (17/629)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (3/285)، ((الوسيط)) للواحدي (3/361)، ((تفسير القرطبي)) (13/132)، ((تفسير الخازن)) (3/331).

وممَّن قال في الجملةِ: إنَّ (مِنْ) هنا: بيانيَّةٌ، والمعنى تأتون الذكورَ، وتَدَعون النِّساءَ: أبو حيان، وأبو السعود، والبقاعي، والشوكاني، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (8/183)، ((تفسير أبي السعود)) (6/260)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (14/81)، ((تفسير الشوكاني)) (4/132)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 260).

وقال السمرقندي: (مِنْ أَزْوَاجِكُمْ يعني: مِن نسائِكم).

((تفسير السمرقندي)) (2/565).

(76) قال البقاعي: (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ أي: تركتُم الأزواجَ بتعدِّي الفعلِ بهنَّ، وتجاوُزِه إلى الفِعلِ بالذُّكرانِ، وليس ذلك ببِدْعٍ مِن أمرِكم؛ فإنَّ العدوانَ -الذي هو مجاوَزةُ الحَدِّ في الشرِّ- وَصْفٌ لكم، أنتم عريقونَ فيه؛ فلذلك لا تَقِفونَ عندَ حَدٍّ حَدَّه اللهُ تعالى).

((نظم الدرر)) (14/82).

وقال ابنُ عثيمين: (قولُه: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ «بل» للإضرابِ، والإضرابُ هنا كأنَّه قال: لا تأتون الذُّكرانَ فِطرةً ولا عملًا عاديًّا محبوبًا إلى الفِطَرِ، ولكِنَّ الذي حمَلكم على هذا هو العدوانُ المجَرَّدُ -والعياذُ بالله- متجاوزينَ الحلالَ إلى الحرامِ، فبَيَّن لهم لوطٌ عليه الصلاةُ والسلامُ أنَّ ما فعَلوه أمرٌ مُستنكَرٌ عقلًا، ومستنكَرٌ شرعًا وعُرفًا؛ لأنَّ العدوانَ لا شكَّ أنَّ كُلَّ أحدٍ يُنكِرُه، وهؤلاء مُعتَدُونَ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 261).

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167).

أي: قال قومُ لوطٍ: لئِنْ لم تترُكْ –يا لوطُ– نَهْيَك وإنكارَك علينا إتيانَ الذُّكورِ، لَتَكونَنَّ مِن المطرودينَ مِن قَريتِنا.

كما قال تعالى: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ [النمل: 56].

قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168).

أي: قال لوطٌ لِقَومِه: إنِّي لِما تَعمَلونَه مِن الفاحِشةِ مِن المُبغِضينَ له أشَدَّ البُغضِ، التَّاركينَ فِعْلَه، المنكِرينَ له.

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169).

أي: قال لوطٌ داعيًا رَبَّه: ربِّ نجِّني وأهلي مِن عذابِ قَومي حينَ تُنزِلُه عليهم.

فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170).

أي: فنجَّينا مِنَ العذابِ لوطًا وأهلَه كُلَّهم.

كما قال تعالى: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [الذاريات: 35، 36].

وقال سُبحانَه: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آَلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ [القمر: 34، 35].

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171).

أي: إلَّا زَوجتَه العَجوزَ فلم نُنْجِها، وهَلَكَت مع قَومِها الباقينَ في العَذابِ.(77)

كما قال تعالى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ [الأعراف: 83].

---

(77) يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (113/17)، ((تفسير القرطبي)) (133/13)، ((تفسير ابن كثير)) (158/6)، ((تفسير السعدي)) (ص: 596)، ((تفسير ابن عاشور)) (181/19).

وممَّن قال بأنَّ المرادَ بالغابرينَ: الباقون في العذاب: مقاتلُ بن سليمان، والواحدي، والسعدي، وابن عاشور.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (277/3)، ((البسيط)) للواحدي (113/17)، ((تفسير السعدي)) (ص: 596)، ((تفسير ابن عاشور)) (181/19).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباس، وقتادةُ، وعبدُ الرحمن بنُ زيد.

يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2809/9)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (317/6).

قال ابنُ عطية: (وقَولُه فِي الْغَابِرِينَ معناه: في الباقِينَ؛ فإمَّا أنْ يريدَ في الباقينَ مِن لِدَاتِها وأهلِ سِنِّها، وهذا تأويلُ أبي عبيدةَ، وإمَّا أنْ يريدَ في الباقينَ في العذابِ النازلِ بهم، وهذا تأويلُ قتادةَ).

((تفسير ابن عطية)) (241/4).

ويُنظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (89/2).

وقال ابنُ عثيمين: (الغابِرُ: يُطلَقُ على مَعانٍ؛ منها: الباقي، ومنها: الماضي أيضًا، فيكونُ مِن الأضْدادِ، وهي الكلماتُ التي تَصلُحُ للشَّيءِ ولِضِدِّه).

((تفسير ابن عثيمين – سورة الشعراء)) (ص: 265).

قال الشوكاني: (الغابِر يكونُ بمعنَى الماضي، ويكونُ بمعنَى الباقي، فالمعنَى: إلَّا عجوزًا في الباقينَ في العذابِ، أوِ الماضِينَ الَّذين قد هَلَكوا).

((تفسير الشوكاني)) (470/4).

ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (172).

أي: ثمَّ أهلَكْنا قومَ لوطٍ.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173).

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا.

أي: وأنزَلْنا عليهم حِجارةً مِن السَّماءِ.

كما قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ [هود: 82، 83].

فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ.

أي: فبئسَ المطَرُ الذي أمطَرْناه على قومِ لوطٍ الذين أنذَرهم نبيُّهم عذابَ اللهِ فكَذَّبوه.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.

أي: إنَّ في إهلاكِ قومِ لوطٍ لَدَلالةً واضِحةً على صِدقِ رَسولِه، وعِبرةً وعِظةً لِمُرتكِبِ الفواحِشِ.

كما قال تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ [الحجر: 75 – 77].

وقال سُبحانَه: وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [الذاريات: 37].

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ لوطٍ مُؤمنينَ.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175).

أي: وإنَّ ربَّك –يا مُحمَّدُ– لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ المنتَقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعَذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِلُ معهم ما يُبَيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعد إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (176–191)

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181) وَزِنُوا
بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
(183) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ
(185) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ
السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188) فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191)

غَريبُ الكَلِماتِ:

الْأَيْكَةِ: أي: الشَّجَرِ المُلتَفِّ المُجتَمِعِ، وأصلُ (أيك): يدُلُّ على اجتماعِ شَجَرٍ.

الْمُخْسِرِينَ: أي: النَّاقِصينَ الكَيلَ، وأصلُ (خسر): يدُلُّ على نَقصٍ.

بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ: أي: الميزانِ العَدلِ السَّوِيِّ، وأصلُ (قسط) هنا: يدُلُّ على العَدلِ.

وَلَا تَبْخَسُوا: أي: لا تَنقُصوا، والبَخسُ: نَقصُ الشَّيءِ على سَبيلِ الظُّلمِ، وأصلُ (بخس): يدُلُّ على نَقصٍ.

تَعْثَوْا: أي: تُفسِدُوا، مِن العُثُوِّ: وهو أشَدُّ الفَسادِ.

وَالْجِبِلَّةَ: أي: الخَلْقَ، يُقالُ: جُبِلَ فُلانٌ على كذا، أي: خُلِقَ.

كِسَفًا: أي: قِطَعًا، الواحِدةُ كِسْفةٌ، وأصلُ (كسف): يدُلُّ على قَطعِ شَيءٍ مِن شَيءٍ.

يَوْمِ الظُّلَّةِ: الظُّلَّةُ: سحابةٌ تُظِلُّ، وأكثرُ ما يُقالُ فيما يُستوخَمُ ويُكرهُ، أرسَل اللهُ سُبحانَه سحابةً فهَرَبوا إليها لِيَستظِلُّوا بها، فلمَّا صاروا تحتَها صِيحَ بهم فهَلَكوا، وأصلُ (ظلل): يدُلُّ على سَترِ شَيءٍ لِشَيءٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176).

أي: كذَّب أصحابُ الشَّجَرِ المُلتَفِّ[78] بجَميعِ رُسُلِ اللهِ.[79]

---

(78) قال القرطبي: (الأيْكُ: الشجَرُ الملتَفُّ الكثيرُ، الواحدةُ: أَيْكةٌ.

ومَن قرأ: «أصحابُ الأيْكةِ» فهي الغَيْضةُ.

ومَن قرأ: «لَيْكة» فهو اسمُ القريةِ.

ويُقالُ: هما مِثلُ بَكَّةَ ومكَّةَ، قاله الجوهريُّ).

((تفسير القرطبي)) (134/13).

وقال أيضًا: (لا نعلَمُ بيْنَ أهلِ اللغةِ اختلافًا أنَّ الأَيْكةَ الشَّجَرُ الملتفُّ).

((تفسير القرطبي)) (135/13).

(79) قال ابن تيميَّةَ: (ذكَرَ اللهُ سُبحانه وتعالى قِصَّةَ شُعَيبٍ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في غيرِ موضعٍ مِن كتابِه، وإرسالَه إلى أهلِ مَدْيَنَ، وقال في موضعٍ آخَرَ: كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ [الشعراء: 176] ، فأكثَرُ الناسِ يقولون: إنَّهم أهلُ مَدْيَنَ، ومِن الناسِ مَن يَجعلُها قصَّتينِ).

((جامع الرسائل)) (61/1).

وممَّن قال بأنَّ أصحابَ الأيْكةِ هم أهلُ مَدْيَنَ: ابنُ كثيرٍ، والسعديُّ.

وعزاه الشنقيطيُّ إلى أكثرِ أهلِ العلمِ.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (158/6، 159)، ((تفسير السعدي)) (ص: 596)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (572/3).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (633/17).

قال ابن كثير: (أصحابُ الأيكةِ هم أهلُ مَدْيَنَ على الصَّحيحِ، وكان نبيُّ اللهِ شعيبٌ مِن أنفُسِهم، وإنَّما لم يقُلْ هنا: «أخوهم شعيبٌ»؛ لأنَّهم نُسِبوا إلى عبادةِ الأيْكةِ، وهي شجرةٌ.

وقيل: شجَرٌ ملتَفٌّ كالغَيضةِ كانوا يَعبُدونها...

والصَّحيحُ أنَّهم أمَّةٌ واحدةٌ، وُصِفوا في كلِّ مقامٍ بشَيءٍ؛ ولهذا وعَظَ هؤلاء وأمَرَهم بوفاءِ المكيالِ والميزانِ، كما في قصَّةِ مَدْيَنَ سواءً بسواءٍ؛ فدلَّ ذلك على أنَّهم أمَّةٌ واحدةٌ).

((تفسير ابن كثير)) (158/6، 159).

إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177).

أي: حينَ قال لهم شُعَيبٌ: أَلَا تتَّقونَ اللهَ، وتَحذَرون عِقابَه؟

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178).

وقال أيضًا: (لَمَّا قال: كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ، لم يقُلْ: «إذْ قال لهم أخوهم شُعَيبٌ»، وإنَّما قال: إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ، فقطَعَ نِسبةَ الأُخوَّةِ بيْنَهم؛ للمعنى الذي نُسِبوا إليه، وإن كان أخاهم نسَبًا.

ومِن الناسِ مَن لم يتفطَّنْ لهذه النكتةِ، فظنَّ أنَّ أصحابَ الأيْكةِ غيرُ أهلِ مَدْيَنَ، فزعَم أنَّ شُعَيبًا عليه السَّلامُ بعَثه اللهُ إلى أُمَّتينِ).

((تفسير ابن كثير)).

(158/6، 159).

وممَّن قال بأنَّ أصحابَ الأيْكةِ هم غيرُ أهلِ مَدْيَنَ، وقد أُرسِل شعيبٌ إلى هؤلاء وهؤلاء: مقاتلُ ابنُ سليمانَ، واستظهره ابنُ عاشور، ورجَّحه ابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (278/3)، ((تفسير ابن عاشور)) (183/19)، ((تفسير ابن عثيمين – سورة الشعراء)) (ص: 274).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: قتادةُ، والربيعُ.

يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2811/9).

قال ابن عاشور: (الأظهرُ أنَّ أهلَ الأيْكةِ قبيلةٌ غيرُ مَدْيَنَ...

والذي يشهدُ لذلك ويرجِّحه أنَّ القرآنَ لَمَّا ذكَر هذه القصةَ لأهلِ مَدْيَنَ وصَف شعيبًا بأنَّه أخوهم، ولَمَّا ذكَرها لأصحابِ الأيْكةِ لم يَصِفْ شعيبًا بأنَّه أخوهم؛ إذ لم يكنْ شعيبٌ نسيبًا ولا صهرًا لأصحابِ الأيْكةِ، وهذا إيماءٌ دقيقٌ إلى هذه النكتةِ).

((تفسير ابن عاشور)) (183/19، 184).

وقال ابن عثيمين: (وممَّا يدُلُّ على أنَّهم ليسوا أصحابَ مَدْيَنَ أنَّ العذابَ الذي أُخِذوا به غيرُ العذابِ الذي أُخِذ به أصحابُ مَدْيَنَ؛ فأصحابُ مَدْيَنَ أُخِذوا بالصَّيحةِ، وهؤلاء أُخِذوا بعذابِ الظُّلَّةِ...

وهل معنى هذا أنَّ شعيبًا أُرسِلَ مرَّتينِ؟ الجوابُ: لا، بل أُرسِل مرَّةً واحدةً، لكِنْ إلى قومَينِ؛ إلى هؤلاء وهؤلاء، ويجوزُ أن يكونَ هذا مِن بابِ التَّبَعِ، يعني: هذه القريةُ صغيرةٌ مثلًا، وكانت تابعةً لبلدتِه، ويدُلُّك على هذا أنَّ عمَلَهم واحدٌ؛ عَمَل هؤلاء، وعَمَل أهلِ مَدْيَنَ).

((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 274).

أي: إنّي لكم رَسولٌ مِن اللهِ، أمينٌ على وَحيِه الذي بعَثَني به إليكم، فأبلِّغُكم ما أُرسِلتُ به إليكم بلا زيادةٍ ولا نَقصٍ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179).

أي: فاتَّقوا سَخَطَ اللهِ وعِقابَه، وأطيعوني فيما آمُرُكم به، وأنهاكم عنه.

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180).

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ.

أي: وما أطلُبُ منكم على نُصحي لكم أيَّ ثوابٍ وجَزاءٍ.

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أي: ما أرجو ثوابي إلَّا مِن اللهِ الخالِقِ الرَّازِقِ، المالِكِ المدَبِّرِ لجميعِ العالَمينَ دونَ خَلقِه.

أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181).

أَوْفُوا الْكَيْلَ.

أي: قال شُعَيبٌ لِقَومِه: أتِمُّوا للنَّاسِ حقَّهم كامِلًا عندَ الكَيلِ.

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ.

أي: ولا تكونوا ممَّن يَنقُصُ النَّاسَ حُقوقَهم.

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182).

أي: وَزِنوا للنَّاسِ –إذا وزَنْتُم لهم– بالميزانِ العادِلِ، الذي لا مَيْلَ ولا انحرافَ فيه.

كما قال تعالى: وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ [الرحمن: 9].

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183).

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.

أي: ولا تَنقُصوا النَّاسَ شَيئًا مِن حُقوقِهم.

وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.

أي: ولا تَسْعَوْا في الأرضِ بمعصيةِ اللهِ، وتُكثِروا فيها الفَسادَ.

كما قال تعالى: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ

بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ [الأعراف: 85، 86].

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184).

أي: واتَّقوا اللهَ الذي خلقَكم، وخَلَقَ الخَلْقَ الأوَّلينَ مِن قَبْلِكم.

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185).

أي: قال قَومُ شُعَيبٍ له: إنَّما أنت مِنَ المسحورينَ الذين بُولِغَ في سِحرِهم مرَّةً بعْدَ مرَّةٍ، فلا عَقلَ لك، وإنَّما تَهذي بما لا مَعنى له.

كما قال تعالى: قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ [هود: 91].

وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186).

وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا.

أي: وما أنت إلَّا آدميٌّ مِثلُنا، فكيف خَصَّك اللهُ بالرِّسالةِ مِن بيْنِنا حتى نتَّبِعَك؟!

وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ.

أي: ونحن نظُنُّك[80] مِنَ الكاذِبينَ[81] في زَعمِك أنَّك رَسولٌ مِن عندِ اللهِ.

فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187).

أي: فأنزِلْ علينا قِطَعًا مِن السَّماءِ تُهلِكُنا، إنْ كُنتَ صادِقًا في أنَّك رَسولٌ مِن عندِ اللهِ.

قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188).

---

(80) قال ابن عاشور: (أُطلِقَ الظَّنُّ على اليقينِ...
وهو إطلاقٌ شائعٌ، كقولِه: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ [البقرة: 46] ، وقرينتُه هنا دخولُ اللام على المفعولِ الثاني لـــ (ظَنَّ)؛ لأنَّ أصْلَها لامُ قَسَمٍ).
((تفسير ابن عاشور)) (186/19).

(81) وإنْ في قولِه تعالى: وَإِنْ نَظُنُّكَ -على مذهبِ الكوفيِّينَ- بمعنى (ما) النافيةِ.
أي: وما نظُنُّك إلَّا مِن الكاذبينَ.
وممَّن قال بهذا المعنى: ابنُ جريرٍ، والقرطبي، والبقاعي.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (636/17)، ((تفسير القرطبي)) (136/13)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (89/14).
قال البقاعي: (والذي يقتضيه السياقُ ترجُّحُ مذهبِ الكوفيِّينَ هنا في أنَّ إنْ نافيةٌ؛ فإنَّهم أرادوا بإثباتِ الواوِ في ؟ المبالغةَ في نفْيِ إرسالِه بتَعدادِ ما يُنافيه، فيكونُ مرادُهم أنَّه ليس لنا ظنٌّ يتوجَّهُ إلى غيرِ الكذبِ، وهو أبلغُ مِن إثباتِ الظنّ به، ويؤيِّدُه تسبيبُهم عنه سؤالَه استهزاءً به، وتعجيزًا له إنزالَ العذابِ).
((نظم الدرر)) (89/14، 90).
وقيل: المرادُ بها (إنْ) المخفَّفةُ مِن الثقيلةِ.
وممَّن اختار ذلك: الشوكانيُّ، وابنُ عاشور، وابنُ عثيمين.
يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (133/4)، ((تفسير ابن عاشور)) (186/19)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 279، 280).

أي: قال شُعَيبٌ لِقَومِه: ربِّي أعلَمُ بما تعمَلونَه مِنَ الشِّركِ والمعاصي، ونَقصِ الكَيلِ والميزانِ، وهو مُجازيكم بأعمالِكم، ومُعذِّبُكم بها إنْ شاء، وما علَيَّ إلَّا تبليغُكم.

كما قال اللهُ تعالى لنبيِّه مُحمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحج: 68].

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189).

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ.

أي: فكذَّب قومُ شُعَيبٍ نبيَّهم، فأهلَكَهم اللهُ بعذابٍ أظلَّهم، فهلَكوا مِن تحتِه.(82)

(82) قال ابن القيم: (أخبَرَ تعالى عن العذابِ الذي أصاب به قَومَ شُعيبٍ بثلاثة أمورٍ، كُلُّها مؤنَّثةُ اللفظِ؛ أحدُها: الرَّجفةُ في قَولِه في «الأعراف»: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ [الأعراف: 78].
الثاني: الظُّلَّةُ بقوله: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ [الشعراء: 189].
الثالثُ: الصَّيحةُ: وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ [هود: 67].
وجمع لهم بيْنَ الثلاثةِ؛ فإنَّ الرجْفةَ بدأَتْ بهم، فأصحَروا [خرَجوا] إلى الفضاءِ خوفًا مِن سقوطِ الأبنيةِ عليهم، فصهَرَتْهم الشمسُ بحَرِّها، ورُفِعَت لهم الظُّلَّةُ، فأُهرِعوا إليها يَستظِلُّون بها مِن الشَّمسِ، فنزَل عليهم منها العذابُ وفيه الصَّيحةُ).
((بدائع الفوائد)) (1/126).
وقال ابنُ عاشور: (كان العذابُ مِن جنسِ ما سألوه، ومِن إسقاطِ شَيءٍ مِن السَّماءِ).
((تفسير ابن عاشور)) (19/187).

إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.

أي: إنَّ عذابَ يومِ الظُّلَّةِ الذي أصاب قَومَ شُعَيبٍ كان عذابَ يومٍ عَظيمِ الأهوالِ.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.

أي: إنَّ في إهلاكِ قَومِ شُعَيبٍ لَدَلالةً واضِحةً على صِدقِ رَسولِه، وعِبرةً وعِظةً لِمن ينقُصُ في الكَيلِ والوَزنِ.

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: ولم يكُنْ أكثَرُ قَومِ شُعَيبٍ مُؤمنينَ.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191).

أي: وإنَّ ربَّك -يا مُحَمَّدُ- لهو العزيزُ القاهِرُ الغالِبُ، المُنتقِمُ مِن أعدائِه، الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يُعاجِلُهم بعذابِه، ومِن رحمتِه أنَّه يُرسِلُ رُسُلًا، ويُنزِّلُ معهم ما يُبَيِّنُ به ما يُرضيه وما يُسخِطُه، فلا يُهلِكُ قومًا إلَّا بعْدَ إعذارِهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُنجِّي أتْباعَ رُسُلِه.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (192-209)

وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ
عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200) لَا يُؤْمِنُونَ
بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (201) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202) فَيَقُولُوا هَلْ
نَحْنُ مُنْظَرُونَ (203) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (204) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ
جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ
قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (209)

غَريبُ الكَلِماتِ:

زُبُرِ: أي: كتُبٍ، جمعُ زَبورٍ، وهو: كلُّ كتابٍ ذي حِكمةٍ، مأخوذٌ مِن الزَّبْرِ، وهو الكِتابةُ والقِراءةُ.

الْأَعْجَمِينَ: الأعجَمُ: مَن في لِسانِه عُجمةٌ، عربيًّا كان أو غيرَ عربيٍّ، وأصلُ (عجم): يدُلُّ على سُكوتٍ وصَمتٍ.

سَلَكْنَاهُ: أي: أدخَلْناه، وأصلُ (سلك): يدُلُّ على نفوذِ شَيءٍ في شَيءٍ.

بَغْتَةً: أي: فجأةً، والبَغتُ: مُفاجأةُ الشَّيءِ مِن حيثُ لا يُحتسَبُ.

مُنْظَرُونَ: أي: مُؤخَّرٌ عنا العذابُ، وممدودٌ في آجالِنا، والنَّظَرُ: الانتظارُ. يُقالُ: نظرْتُه وانتظَرْتُه وأنْظَرْتُه، أي: أخَّرْتُه، وأصلُ (نظر): تأمُّلُ الشَّيءِ ومُعاينَتُه.

مَتَّعْنَاهُمْ: أي: عمَّرْناهم، وأصلُ الإمتاعِ: الإطالةُ، يُقالُ للشيءِ الطويلِ: ماتِعٌ، وأصلُ (متع): يدُلُّ على منفعةٍ، وامتدادِ مُدَّةٍ في خيرٍ.

مَا أَغْنَى: أي: ما نَفعهم وما دفَعَ عنهم، يُقالُ: أغْناني كذا، وأغْنَى عنه كذا: إذا كفاه، وأصلُ (غني) هنا: يدُلُّ على الكِفايةِ.

ذِكْرَى: أي: تَذكيرٌ، والذِّكرى: كثرةُ الذِّكرِ، وهو أبلَغُ مِن الذِّكْرِ.

تفسيرُ الآياتِ:

وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192).

أي: وإنَّ القرآنَ وحْيٌ مِن اللهِ الذي ربَّى جميعَ العالَمينَ بنِعَمِه، وهداهم لمصالحِهم برَحمتِه.

كما قال تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الواقعة: 77 – 80].

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193).

أي: نزَل بالقُرآنِ جبريلُ المؤتَمَنُ على وَحيِ اللهِ إلى أنبيائِه؛ فهو لا يَزيدُ فيه ولا يَنقُصُ منه شيئًا.

كما قال تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ [التكوير: 19 – 21].

عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194).

أي: نزَل جبريلُ بالقُرآنِ على قَلبِك –يا محمَّدُ– لِتَعيَهُ وتحفظَه، فتكونَ ممَّن يُنذِرُ النَّاسَ به.

كما قال تعالى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [البقرة: 97].

وقال سُبحانَه: فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا [مريم: 97].

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195).

أي: بلُغةٍ عَربيَّةٍ واضحةِ المعاني.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ [النحل: 103].

وقال تبارك وتعالى: كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [فصلت: 3].

وقال عزَّ وجلَّ: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ [الشورى: 7].

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196).

أي: وإنَّ هذا القُرآنَ مَذكورٌ خبَرُه في كتُبِ الأنبياءِ السَّابقةِ المبشِّرةِ به، ممَّا يدُلُّ على صِحَّتِه.

أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197).

أي: أوَلَمْ يكُنْ للمُشرِكين المكَذِّبين دَلالةً على صِحَّةِ ما جاء به الرَّسولُ مِن الوَحيِ؛ أنَّ العُلَماءَ مِن بني إسرائيلَ يَعلَمونَ صِدقَ ذلك، ويجِدونَ ذِكرَه في كُتُبِهم التي يَدرُسونَها؟!

كما قال تعالى: وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ [الأنعام: 114].

وقال جلَّ وعزَّ: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [الأحقاف: 10].

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198).

أي: ولو نزَّلْنا القُرآنَ على رجُلٍ مِن الأعاجِمِ لا يُحسِنُ التحدُّثَ بالعربيَّةِ.

كما قال تعالى: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ [فصلت: 44].

فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199).

أي: فقرَأ القُرآنَ على كُفَّارِ العَرَبِ بغيرِ لُغةِ العربِ، لَما آمَنوا بأنَّه مِن عندِ اللهِ، ولَقالوا: لا نَفْقَهُ قولَك!

كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200).

أي: كذلك[83] أدخَلْنا القُرآنَ في قُلوبِ المُشرِكين فكَذَّبوا به![84]

---

(83) قال ابنُ جُزي: (كَذَلِكَ: مِثْلَ هذا السَّلْكِ سَلَكْنَاهُ).

((تفسير ابن جزي)) (96/2).

وقال السمينُ الحلبي: (قوله: كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ: أي: مِثلَ ذلك، أو الأمرُ كذلك).

((الدر المصون)) (556/8).

(84) وممَّن قال بأنَّ الضــــمير عائدٌ إلى القرآنِ، أي: كذلك أدخَلْنا القرآنَ في قلوبِ المجرمينَ حتى فهِموا معانيَه، وقامَتْ عليهم الحُجَّةُ بمعرفتِهم صِدقَه، ومع ذلك كفروا به: القرطبيُّ، وابن القيم، والسمين الحلبي، وأبو السعود، والشوكاني، وابن عاشور، والشنقيطي.

يُنظر: المصادر السابقة.

وممَّن قال بأنَّ المرادَ: التكذيبُ: ابنُ جرير، والواحديُّ، وابنُ كثير، والسعدي.

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (201).

أي: لا يُؤمِنونَ بالقُرآنِ حتى يَرَوا عذابَ اللهِ فيُؤمِنوا به حينَ لا ينفَعُهم الإيمانُ.(85)

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس: 96، 97].

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/648)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 797)، ((تفسير ابن كثير)) (6/164)، ((تفسير السعدي)) (ص: 598).

قال ابنُ القيم: (الظاهرُ أنَّ الضميرَ في قولِه: لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ هو الضميرُ في قولِه: سَلَكْنَاهُ، فلا يصِحُّ أن يكونَ المعنى: لا يؤمنون بالشِّركِ والتكذيبِ والاستهزاءِ، فلا تصِحُّ تلك الأقوالُ إلَّا باختلافِ مفسِّرِ الضميرَينِ، والظاهرُ اتِّحادُه؛ فالذين لا يؤمنونَ به هو الذي سلكَه في قلوبِهم، وهو القرآنُ.

فإنْ قيل: فما معنى سَلْكِه إيَّاه في قلوبِهم وهم يُنكِرونَه؟ قيل: سَلكه في قلوبِهم بهذه الحالِ، أي: سلَكْناه غيرَ مؤمنينَ به، فدخل في قلوبِهم مُكَذَّبًا به، كما دخَل في قلوبِ المؤمنينَ مُصَدَّقًا به، وهذا مرادُ مَن قال: إنَّ الذي سلَكه في قلوبِهم هو التكذيبُ والضلالُ، ولكِنْ فسَّر الآيةَ بالمعنى؛ فإنَّه إذا دخَل في قلوبِهم مكذِّبينَ به، فقد دخَل التكذيبُ والضلالُ في قلوبِهم.

فإنْ قيل: فما معنى إدخالِه في قلوبِهم وهم لا يؤمنونَ به؟ قيل: لِتَقومَ عليهم بذلك حُجَّةُ الله، فدخَل في قلوبِهم وعَلِموا أنَّه حَقٌّ، وكَذَّبوا به، فلمْ يدخُلْ في قلوبِهم دُخولَ مُصَدَّقٍ به مؤمَنٍ به مَرضيٍّ به، وتكذيبُهم به بعدَ دخولِه في قلوبِهم أعظَمُ كُفرًا مِن تكذيبِهم به قبْلَ أن يدخُلَ في قلوبِهم؛ فإنَّ المكذِّبَ بالحقِّ بعدَ معرفتِه له شَرٌّ مِن المكذِّبِ به ولم يعرِفْه.

فتأمَّلْه؛ فإنَّه مِن فقهِ التفسيرِ.

والله الموفِّقُ للصوابِ).

((شفاء العليل)) (ص: 62).

(85) قال الشنقيطي: (هؤلاءِ الكُفَّارُ الذين ذكَرَ اللهُ جلَّ وعلا في هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّهم لا يؤمنون حتى يَرَوُا العذابَ الأليمَ، هُمُ الذين حَقَّتْ عليهم كَلِمةُ العذابِ، وسبَقَ في عِلمِ اللهِ أنَّهم أشْقياءُ).

((أضواء البيان)) (6/98).

وقال عزَّ وجلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا [الكهف: 57، 58].

فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202).

أي: فيأتِيَ المكَذِّبينَ بالقُرآنِ عَذابُ اللهِ فَجأةً بلا مُقَدِّماتٍ، وهم لا يَشعُرونَ بمَجيئِه.

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (203).

أي: فيقولَ المُجرِمونَ حينَ يأتيهم العَذابُ فَجأةً: هل نحن مؤخَّرون ومُمهَلُون لِنَتوبَ إلى اللهِ، فنُؤمِنَ ونعمَلَ صالِحًا؟!

كما قال تعالى: وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ [إبراهيم: 44].

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (204).

أي: أيَستعجِلُ هؤلاء المُجرِمونَ بعَذابِنا الذي لا يَنْبغي أن يُستهانَ به؟!

كما قال تعالى: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [العنكبوت: 53].

وقال سُبحانَه: وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ [ص: 16].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ [النمل: 71، 72].

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205).

أي: هَبْ أنَّ الأمرَ كما يعتَقِدونَ مِن طُولِ عَيشِهم، فأخبِرْني إنْ أمهَلْناهم وأبقَيناهم يتمتَّعونَ في الدُّنيا سِنينَ كَثيرةً.

ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206).

أي: ثمَّ جاءهم بعْدَ تلك السِّنينَ الكثيرةِ عذابُ اللهِ الذي كانوا يوعَدُون به على كُفرِهم وتَكذيبِهم.

مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207).

أي: فماذا ينفَعُهم حينَها تمتُّعُهم في الدُّنيا، وتأخيرُنا عذابَهم سِنينَ كَثيرةً؟![86]

---

(86) ممَّن اختار أنَّ (ما) استفهاميَّةٌ: ابنُ جرير، والقرطبي، وابن كثير، والسعدي، وابن عثيمين.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/651)، ((تفسير القرطبي)) (13/141)، ((تفسير ابن كثير)) (6/164)، ((تفسير السعدي)) (ص: 598)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 293).

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ الله عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((يُؤتَى بأنعَمِ أهلِ الدُّنيا مِن أهلِ النَّارِ يومَ القيامةِ، فيُصبَغُ في النَّارِ صَبغةً، ثمَّ يُقالُ: يا ابنَ آدَمَ، هل رأيتَ خيرًا قَطُّ؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقولُ: لا واللهِ يا رَبِّ! ويُؤتَى بأشَدِّ النَّاسِ بُؤسًا في الدُّنيا مِن أهلِ الجَنَّةِ، فيُصبَغُ صَبغةً في الجنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابنَ آدَمَ، هل رأيتَ بؤسًا قَطُّ؟ هل مَرَّ بك شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا واللهِ يا ربِّ، ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شِدَّةً قطُّ)).[87]

قال ابن عثيمين: (الأبلَغُ أن تكونَ استفهاميَّةً بمعنى النفْيِ؛ لأنَّ الاستفهامَ الذي بمعنى النفْيِ يَتضمَّنُ النفْيَ وزيادةً؛ إذ إنَّه مُشرَبٌ معنَى التحدِّي).

((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 294، 295).

وقال السعدي: (مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ مِن اللذَّاتِ والشَّهَواتِ، أيْ: أيُّ شيءٍ يُغني عنهم ويُفيدُهم، وقد مضَت وبطَلَت واضْمَحلَّتْ، وأعقَبَت تِبعاتِها، وضُوعِفَ لهم العذابُ عندَ طولِ المدَّةِ؟! القصدُ أنَّ الحذَرَ مِن وُقوعِ العذابِ واستحقاقِهم له، وأمَّا تعجيلُه وتأخيرُه فلا أهميَّةَ تحتَه، ولا جَدْوَى عندَه).

((تفسير السعدي)) (ص: 598).

وقيل: (ما) نافيةٌ، وهو ظاهرُ اختيارِ الواحديِّ، والبغويِّ، والبيضاويِّ، والخازن، والعليمي.

يُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (3/363)، ((تفسير البغوي)) (3/479)، ((تفسير البيضاوي)) (4/150)، ((تفسير الخازن)) (3/332)، ((تفسير العليمي)) (5/103).

(87) رواه مسلم (2807).

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208).

أي: وما أهلَكْنا قريةً مِن القُرى الماضيةِ إلَّا بعْدَ قيامِ الحُجَّةِ على أهلِها بإرسالِ رسُلٍ يُنذِرونَهم سَخَطَ اللهِ وعَذابَه إنِ استمَرُّوا على كُفرِهم.

كما قال تعالى: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء: 15].

وقال سُبحانَه: وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ [القصص: 59].

ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (209).

أي: بعَثْنا الرُّسُلَ المُنذِرينَ تذكرةً لأهلِ القُرى، وتنبيهًا لهم قبْلَ إهلاكِهم، وما كنَّا ظالِمين لهم بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليهم، وإنذارِهم، والإعذارِ إليهم.

كما قال تعالى: رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ [النساء: 165].

وقال سُبحانَه: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [يونس: 44].

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (210–220)

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (211) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ
لَمَعْزُولُونَ (212) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ
إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ
(218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

لَمَعْزُولُونَ: أي: ممنوعونَ، يُقالُ: عزَلَ الشَّيءَ: إذا نحَّاه في جانبٍ، وأصلُ (عزل): يدُلُّ على تنحِيةٍ وإمالةٍ.

عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ: أي: أهلَك وقَومَك الأقربينَ نَسَبًا، وأصلُ العِشرةِ والعَشيرةِ: مِن المخالَطةِ والمداخَلةِ.

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ: أي: وألِنْ جانِبَك وكلامَك، وتواضَعْ لهم، وارفُقْ بهم.

بَرِيءٌ: فعيلٌ بمعنى فاعلٍ مِن (برِئ)، بمعنى التفصِّي والتنزُّهِ ونفيِ المخالطةِ، فالبريءُ: الخليُّ عن التلبُّسِ بشيءٍ وعن مخالطتِه، وأصلُ (برأ) هنا: يدُلُّ على التباعُدِ مِن الشيءِ ومزايلتِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210).

أي: وما نزَلَت الشَّياطينُ بالقُرآنِ على محمَّدٍ، بل نزَل به عليه جبريلُ الأمينُ.

كما قال تعالى: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ [التكوير: 25].

وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (211).

أي: ولا يَنبغي ولا يَصِحُّ للشَّياطينِ أن ينزِلوا بالقُرآنِ؛ لأنَّهم لا يُريدونَه؛ لِمُخالفتِه أحوالَهم ومقاصِدَهم، وحتى لو أرادوا إنزالَه فإنَّهم لا يستطيعونَ.(88)

كما قال تعالى: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ [الحجر: 16 – 18].

وقال سُبحانَه: إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ [الصافات: 6–10].

(88) قال ابنُ تيمية: (بيَّن قولُه: وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أنَّهم لا يريدونَ تنزيلَه، وبقولِه: وَمَا يَسْتَطِيعُونَ أنَّهم عاجزونَ عن تنزيلِه). ((الجواب الصحيح)) (348/5).

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (212).

أي: لأنَّهم محجوبون مِن سَماعِ القُرآنِ في السَّماءِ.

كما قال الله سبحانه وتعالى حاكيًا قولَ الجِنِّ: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا [الجن: 8، 9].

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213).

أي: فلا تدْعُ مع اللهِ مَعبودًا آخَرَ تَعبُدُه وتسألُه، فتكونَ مُعَذَّبًا مِن المعَذَّبينَ.(89)

---

(89) قيل: الخطابُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

وممَّن ذهَب إلى ذلك: ابنُ جرير، والبقاعي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (654/17)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (106/14)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 302).

قال ابن عثيمين: (قال الله تعالى: فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ الخِطابُ للرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولا يلزَمُ مِن النَّهيِ عنه إمكانُ وقوعِه، كما أنَّ الله تعالى يأمُرُ المؤمنينَ بالثَّباتِ على الإيمانِ، وينهاهم عن الشِّركِ، وهو لم يقَعْ منهم).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 302).

وقال الخازن: (الخطابُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، والمرادُ به غيرُه؛ لأنَّه معصومٌ مِن ذلك).

((تفسير الخازن)) (332/3).

وقال الشوكاني: (خِطابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بهذا معَ كونِه منزَّهًا عنه، معصومًا منه؛ لحثِّ العبادِ على التوحيدِ، ونهيِهم عن شوائبِ الشركِ، وكأنَّه قال: أنتَ أكرَمُ الخَلقِ علَيَّ، وأعزُّهم عندي، ولو اتخَذْتَ معي إلهًا لعذبْتُك، فكيف بغيرِك مِن العبادِ؟!).

((تفسير الشوكاني)) (138/4).

وقال الشنقيطي: (النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُخاطَبُ بمِثلِ هذا الخِطابِ، والمرادُ التشريعُ لأمَّتِه).

((أضواء البيان)) (100/6).

ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (5/14).

كما قال تعالى: وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا [الإسراء: 39].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [الزمر: 65، 66].

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214).

أي: وحذِّرْ قَومَك الأقرَبينَ إليك نَسَبًا مِن عذابِ اللهِ إنْ لم يؤمِنوا، وقدِّمْ إنذارَهم على إنذارِ غيرِهم، ولا تُحابِهم لِقُربِهم.(90)

وقيل: الخِطابُ لغيرِ مُعَيَّنٍ، يشملُ كلَّ مَن يسمعُ هذا الكلامَ.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: أبو حيَّان، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (8/196)، ((تفسير ابن عاشور)) (19/200).

وقال مكِّي: (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ أي: قلْ يا محمدُ لِمَن كفَر: لا تَدْعُ مع اللهِ إلهًا آخَرَ).

((الهداية إلى بلوغ النهاية)) (8/5358).

(90) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/654)، ((تفسير الزمخشري)) (3/339)، ((تفسير القرطبي)) (13/142)، ((تفسير ابن كثير)) (6/166)، ((تفسير الألوسي)) (10/132).

قال ابن كثير: (هذه النِّذارةُ الخاصَّةُ لا تنافي العامَّةَ، بل هي فردٌ مِن أجزائها، كما قال: لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ [يس: 6]، وقال: لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا [الشورى: 7]...

وقال: لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ [الأنعام: 19] ...

وفي صحيحِ مُسلمٍ: «والذي نفْسي بيَدِه، لا يسمَعُ بي أحدٌ مِن هذه الأمَّةِ؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثمَّ لا يؤمنُ بي، إلَّا دخل النَّارَ»).

((تفسير ابن كثير)) (6/166).

ويُنظر: ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (3/152)، ((تفسير السعدي)) (ص: 598)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (6/100).

عن ابنِ عباسٍ رَضيَ اللهُ عنهما، قال: ((لَمَّا نزلَتْ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ صعِدَ النبيُّ – ﷺ – على الصَّفا فجعَل ينادي: يا بني فِهْرٍ، يا بني عَدِيٍّ –لبُطونِ قُريشٍ– حتى اجتمَعوا، فجعَل الرجُلُ إذا لم يستطِعْ أن يخرُجَ أرسَلَ رَسولًا؛ لِيَنظُرَ ما هو، فجاء أبو لهبٍ وقُرَيشٌ، فقال: أرَأَيْتَكم لو أخبَرْتُكم أنَّ خيلًا بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم، أكنتُم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعَمْ، ما جرَّبْنا عليك إلَّا صِدقًا، قال: فإنِّي نذيرٌ لكم بيْنَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ، فقال أبو لهبٍ: تبًّا لك سائِرَ اليومِ، ألهذا جمَعْتَنا؟! فنَزَلتْ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ [المسد: 1، 2])).[91]

وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه، قال: ((لَمَّا أُنزِلَت هذه الآيةُ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ دعا رسولُ اللهِ – ﷺ – قُرَيشًا، فاجتمَعوا فعَمَّ وخصَّ، فقال: يا بَني كَعبِ بنِ لُؤَيٍّ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بَني مُرَّةَ بنِ كَعبٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بني عَبدِ شَمسٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بني عبدِ مَنافٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بني هاشِمٍ، أنقِذوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بني عبدِ المطَّلِبِ، أنقِذوا أنفُسَكم

وقال ابن عثيمين: (هذا في أوَّلِ الدَّعوةِ، أُمِرَ أن يُنذِرَ عَشيرتَه الأقربينَ؛ لأنَّهم أحقُّ النَّاسِ ببِرِّه، ولأنَّهم بمقتضى القَرابةِ –لا بمقتضى الواقِعِ– أقرَبُ الناسِ إلى الإيمانِ به، ولأنَّهم أيضًا بمقتضى القرابةِ هم أشَدُّ النَّاسِ غَيرةً عليه، ولأنَّهم أيضًا بصِلةِ القرابةِ هم أعظَمُ النَّاسِ حَقًّا عليه).

((تفسير ابن عثيمين– سورة الشعراء)) (ص: 304).

(91) رواه البخاري (4770) واللفظ له، ومسلم (208).

مِن النَّارِ، يا فاطمةُ، أنقِذي نفْسَكِ من النَّارِ؛ فإنِّي لا أملِكُ لكم مِنَ الله شيئًا، غيرَ أنَّ لكم رَحِمًا سأبُلُّها بِبَلالِها)[92].[93]

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215).

أي: وألِنْ جانِبَك لأتْباعِك المؤمنينَ، وتواضَعْ لهم، وارفُقْ بهم، وتودَّدْ إليهم.

كما قال تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ [آل عمران: 159].

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216).

أي: فإنْ خالَفَ أمرَك قومُك الأقربون ولم يتَّبِعوك، فقُلْ لهم: إنِّي بَريءٌ مِمَّا تعمَلونَ مِن شِرْكِكم وعِصيانِكم.[94]

(92) سأبُلُّها بِبَلالِها بفتحِ الباءِ الثانيةِ وكسرِها، والبلالُ: الماءُ، أي: أصِلُها بصلتِها، شُبِّهت قطيعةُ الرحمِ بالحرارةِ، ووصلُها بإطفاءِ الحرارةِ ببرودةٍ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (3/80)، ((فتح الباري)) لابن حجر (10/422).

(93) رواه البخاري (4771)، ومسلم (204) واللفظُ له.

(94) ممَّن اختار أنَّ المرادَ بقولِه: عَصَوْكَ: مَن أُمِر بإنذارِهم مِن عشيرتِه: ابنُ جرير، والواحديُّ، وابن الجوزي، وابن عطية، والنسفي، وأبو حيان، وجلال الدين المحلي، والشربيني، والألوسي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/665)، ((الوسيط)) للواحدي (3/365)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/350)، ((تفسير ابن عطية)) (4/245)، ((تفسير النسفي)) (2/586)، ((تفسير أبي حيان)) (8/197)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 492)، ((تفسير الشربيني)) (3/38)، ((تفسير الألوسي)) (10/133).

كما قال تعالى: وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ [يونس: 41].

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217).

أي: واعتَمِدْ في جميعِ أمورِك على اللهِ العزيزِ في نِقمتِه مِن أعدائِه، فلا يُقهَرُ ولا يُغالَبُ؛ الرَّحيمِ الذي يقبَلُ التَّوبةَ مِن عبادِه، ولا يعجَلُ بالعُقوبةِ ولا يَخذُلُ أولياءَه، وفوِّضْ أمورَك إليه؛ لِيَحفَظَك ويَنصُرَك.

الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218).

قال أبو حيان: (وقيل: الضميرُ يعودُ على مَن اتَّبَعه مِن المؤمنينَ، أي: فَإِنْ عَصَوْكَ –يا محمَّدُ– في الأحكامِ وفروعِ الإسلامِ، بعْدَ تصديقِك والإيمانِ بك فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ لا منكم، أي: أظهِرْ عدَمَ رضاك بعَمَلِهم، وإنكارَك عليهم).

((تفسير أبي حيان)) (8/197).

وهذا القولُ هو ظاهرُ اختيارِ ابنِ تيميَّةَ، واختاره السعديُّ.

يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (16/543)، ((تفسير السعدي)) (ص: 599).

قال السعدي: (فَإِنْ عَصَوْكَ في أمرٍ مِن الأمورِ، فلا تتبرَّأْ منهم، ولا تترُكْ معاملتَهم بخَفضِ الجَناحِ، ولِينِ الجانبِ، بل تبرَّأْ مِن عملِهم، فعِظْهم عليه وانصَحْهم، وابذُلْ قدرتَك في ردِّهم عنه، وتوبتِهم منه، وهذا لدفعِ احترازِ وهْمِ مَن يتوهَّمُ أنَّ قولَه: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ للمؤمنينَ، يقتضي الرِّضاءَ بجميعِ ما يصدُرُ منهم، ما داموا مؤمنينَ، فدفَع هذا بهذا، واللهُ أعلم).

((تفسير السعدي)) (ص: 599).

وقال الشوكاني: (فَإِنْ عَصَوْكَ أي: خَالَفوا أمْرَكَ ولم يتَّبِعوكَ...

وهذا يدُلُّ على أنَّ المرادَ بالمؤمنينَ المشارِفونَ للإيمانِ، المصدِّقونَ باللِّسانِ؛ لأنَّ المؤمنينَ الخُلَّصَ لا يَعْصونَه ولا يُخالِفونَه).

((تفسير الشوكاني)) (4/138).

وذكر ابنُ عثيمين أنَّ المرادَ: عشيرتُه أو غيرُهم.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الشعراء)) (ص: 306).

واختار العمومَ أيضًا ابنُ كثير، فقال: (ومَن عصاه مِن خَلقِ اللهِ كائنًا مَن كان فليتبرَّأْ منه).

((تفسير ابن كثير)) (6/166).

أي: توكَّلْ على اللهِ الذي يراك حينَ تقومُ إلى صَلاتِك.

كما قال تعالى: وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ [الطور: 48].

وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219).

أي: ويَراك وأنت معَ المصَلِّينَ تتقلَّبُ في الصَّلاةِ قائِمًا وراكِعًا وساجِدًا.(95)

كما قال تعالى: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ [يونس: 61].

---

(95) اختُلِف في معنى قوله تعالى: ﴿وتَقَلُّبَكَ فِي السّاجِدِينَ﴾ على أقوال: الأول: يرى تقلبك في صلاتك حين تقوم، وحين تركع، وحين تسجد.

الثاني: يرى تقلبك في المصلين، وإبصارك منهم من هو خلفك، كما تبصر من هو بين يديك منهم.

الثالث: يرى تقلبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة.

الرابع: يرى تصرفك في ذهابك ومجيئك في الناس.

الخامس: يرى تصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء قبلك تفعله.

السادس: يرى تقلبك في أصلاب الأنبياء.

ورجَّح ابنُ جرير (١٧/ ٦٦٩) مستندًا إلى دلالة الظاهر القول الثالث، وهو قول ابن عباس من طريق عطاء، وقتادة من طريق معمر، وابن زيد، ومن وافقهم، وعلَّل ذلك بقوله: «لأن ذلك هو الظاهر من معناه».

وانتقد (١٧/ ٦٦٩ - ٦٧٠) القول الرابع، والثاني، مستندًا إلى الأغلب من اللغة، فقال: «فأما قول مَن وجَّهه إلى أن معناه: وتقلبك في الناس.

فإنه قولٌ بعيدٌ من المفهوم بظاهر التلاوة، وإن كان له وجْه، لأنه وإن كان لا شيء إلا وظِلُّه يسجد لله، فإنه ليس المفهوم من قول القائل: فلانٌ مع الساجدين، أو في الساجدين، أنه مع الناس أو فيهم، بل المفهوم بذلك أنه مع قومٍ سجودٍ السجودَ المعروف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر.

وكذلك أيضًا في قول مَن قال: معناه: تتقلَّبُ في أبصار الساجدين، وإن كان له وجْه، فليس ذلك الظاهر من معانيه».

وانتقد ابنُ عطية (٦/ ٥١١) القول الثاني، فقال: «وهذا معنًى أجنبيٌّ هنا».

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220).

أي: إنَّ اللهَ هو السَّميعُ لجَميعِ الأصواتِ، العليمُ بجميعِ الأعمالِ والأحوالِ والنيَّاتِ، ومِن ذلك سَماعُه لتلاوةِ محمَّدٍ، وذِكرِه في صلاتِه، العليمُ بما يعمَلُ فيها وبما في قَلبِه مِن الإيمانِ.

سورةُ الشُّعَراءِ

الآيات (221–227)

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227))

غَريبُ الكَلِماتِ:

أَفَّاكٍ: أي: كذَّابٍ، والإِفْكُ هو أشدُّ الكَذِبِ، وإنَّما سُمِّي إفكًا؛ لأنَّه مصروفٌ عن الحقِّ، والإفكُ: كُلُّ مَصروفٍ عن وجْهِه الذي يحِقُّ أن يكونَ عليه، وأصلُ (أفك): يدُلُّ على قَلبِ الشَّيءِ، وصَرفِه عن جِهتِه.

أَثِيمٍ: أي: كثيرِ الإثمِ، مُتجاوِزٍ في الظُّلمِ، وأصلُ (أثم): يدُلُّ على البُطءِ والتأخُّرِ؛ لأنَّ ذا الإثمِ بَطيءٌ عن الخيرِ، متأخِّرٌ عنه.

يَهِيمُونَ: أي: يَذهَبون على غيرِ قَصدٍ، كما يذهَبُ الهائمُ على وَجهِه، فيَخوضون في كلِّ نوعٍ مِن الكَلامِ، وأصلُ (هيم): يدُلُّ على عَطَشٍ شديدٍ.

مُنْقَلَبٍ: أي: مَرجِعٍ ومَعادٍ، وأصلُ (قلب): يدُلُّ على صَرفِ الشَّيءِ عن وجهٍ إلى وجهٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221).

أي: هل أُخبِرُكم بصِفةِ الذينَ تتنزَّلُ عليهم الشَّياطينُ؟

تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222).

أي: تتنَزَّلُ بكَثرةٍ على كُلِّ كثيرِ الكَذِبِ في أقوالِه، كثيرِ الآثامِ في أفعالِه.

يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223).

أي: يَسترِقُ الشَّياطينُ بعضَ ما يَسمَعونَه مِن الملائكةِ في السَّماءِ، فيُلقونَه إلى أوليائِهم مِن الكَهَنةِ الأفَّاكين الآثِمين قبْلَ أن يُرجَمُوا بالشُّهُبِ،[96] وأكثَرُهم كاذِبونَ فيما يُخبِرونَ به مِن الغُيوبِ.[97]

---

(96) قال الشوكاني: (الشَّياطينُ كانت تَسترِقُ السَّمعَ ثمَّ يأتون إليهم فيُلقونَه إليهم، وهو معنى قَولِه: يُلْقُونَ السَّمْعَ أي: ما يَسمَعونَه ممَّا يَسترِقونَه، فتكونُ جملةُ يُلْقُونَ السَّمْعَ على هذا راجعةً إلى الشياطينِ في محلِّ نصبٍ على الحالِ، أي: حالَ كَونِ الشياطينِ مُلقينَ السمعَ، أي: ما يَسمَعونه مِن الملأِ الأعلى إلى الكُهَّانِ.

ويجوزُ أن يكونَ المعنى: إنَّ الشياطينَ يُلْقون السَّمعَ: أي: يُنصِتونَ إلى الملأِ الأعلى لِيَسترِقوا منهم شيئًا، ويكونَ المرادُ بالسَّمعِ على الوجهِ الأوَّلِ المسموعَ، وعلى الوجهِ الثاني: نفْسَ حاسَّةِ السَّمعِ).

((تفسير الشوكاني)) (139/4).

ممَّن اختار أنَّ المعنى: يُلْقون ما سمِعوه مِن الملائكةِ ممَّا استَرَقوا سَمْعَه مِن السماءِ إلى الكَهَنةِ: الفرَّاءُ، وابنُ جرير، والثعلبي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والعليمي، والشوكاني، والسعدي.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (285/2)، ((تفسير ابن جرير)) (671/17)، ((تفسير الثعلبي)) (184/7)، ((البسيط)) للواحدي (144/17)، ((تفسير البغوي)) (484/3)، ((تفسير ابن الجوزي)) (350/3)، ((تفسير العليمي)) (107/5)، ((تفسير الشوكاني)) (139/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 599).

وقيل: المعنى: تُلْقي الشياطينُ آذانَهم إلى السمعِ في السماءِ لكلامِ الملائكةِ.

وممَّن اختاره: مقاتلُ بن سليمان، والسمرقنديُّ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (282/3)، ((تفسير السمرقندي)) (570/2).

وقيل: المعنى: يُلْقي الأفَّاكون السمعَ إلى الشياطينِ فيَتلَقَّوْن منهم ظُنونًا وأماراتٍ لنُقصانِ عِلمِهم، فيَضُمُّون إليها على حسَبِ تخيُّلاتِهم خرافاتٍ وأشياءَ لا يُطابِقُ أكثرُها الواقعَ.

وممَّن اختار هذا المعنى في الجملةِ: البيضاويُّ، وأبو السعود، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (152/4)، ((تفسير أبي السعود)) (268/6)، ((تفسير القاسمي)) (478/7).

(97) قيل: الضَّميرُ في قَولِه تعالى: يُلْقُونَ، وقولِه تعالى: وَأَكْثَرُهُمْ يعودُ إلى الشياطينِ.

وممَّن قال بذلك: مقاتلُ بن سليمان، وابنُ كثير، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (282/3)، ((تفسير ابن كثير)) (172/6)، ((تفسير السعدي)) (ص: 599).

وقيل: الضَّميرُ في قَولِه تعالى: يُلْقُونَ: وقولِه: وَأَكْثَرُهُمْ يعودُ إلى كلِّ أفَّاكٍ أثيم.

وممَّن قال بذلك: البيضاويُّ، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (152/4)، ((تفسير ابن عاشور)) (206/19).

وقيل: الضَّميرُ في قَولِه تعالى: يُلْقُونَ: يعودُ إلى الشياطينِ، وفي قَولِه تعالى: وَأَكْثَرُهُمْ يعودُ إلى أوليائِهم مِن الكَهَنةِ الأفَّاكينَ الآثِمين.

كما قال تعالى: إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ [الحجر: 18].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه، قال: إنَّ نبيَّ اللهِ – ﷺ – قال: ((إذا قضى اللهُ الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبت الملائِكةُ بأجنِحَتِها خُضْعانًا لِقَولِه، كأنَّه سِلسلةٌ على صَفوانٍ،[98] فإذا فُزِّعَ[99] عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العَليُّ الكبيرُ، فيَسمَعُها مُسترِقُ السَّمعِ، ومُسترِقُ السَّمعِ هكذا بعضُه فوقَ بَعضٍ –ووصَفَ سُفيانُ بكَفِّه فحرَفَها وبَدَّد بيْنَ أصابِعِه– فيسمَعُ الكَلِمةَ فيُلْقيها إلى مَن تحتَه، ثمَّ يُلقيها الآخَرُ إلى مَن تحتَه، حتَّى يُلقيَها على لسانِ الساحِرِ أو الكاهِنِ، فرُبَّما أدرك الشِّهابُ قبْلَ أن يُلقِيَها، ورُبَّما ألْقاها قبْلَ أن يُدرِكَه، فيَكذِبُ معها مِئةَ كَذْبةٍ، فيُقالُ: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟! فيُصَدَّقُ بتلك الكَلِمةِ التي سَمِعَ مِنَ السَّماءِ)).[100]

وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، قالت: ((سَأل أُناسٌ رَسولَ الله – ﷺ – عن الكُهَّانِ، فقال لهم رَسولُ الله – ﷺ –: ليسُوا بشَيءٍ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، فإنَّهم يحَدِّثونَ أحيانًا بالشَّيءِ يكونُ حَقًّا! فقال رسولُ

وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير، والسمرقنديُّ، والزمخشري، والخازن.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (17/672)، ((تفسير السمرقندي)) (2/570)، ((تفسير الزمخشري)) (3/342)، ((تفسير الخازن)) (3/334).

(98) صَفوانٍ: هو الحَجَرُ الأملَسُ.

يُنظر: ((شرح القسطلاني)) (7/192).

(99) فُزِّعَ أي: أُزيلَ الخَوفُ.

يُنظر: ((شرح القسطلاني)) (7/192).

(100) رواه البخاري (4800).

الله – ﷺ –: تلك الكَلِمةُ مِنَ الحَقّ يَخطَفُها الجِنّيُّ، فيَقُرُّها في أُذُنِ وليِّه قَرَّ الدَّجاجة،[101] فيَخلِطون فيها أكثرَ مِن مِئةِ كَذْبةٍ)).[102]

وعن عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها، أنَّها سَمِعَت رسولَ الله – ﷺ – يقولُ: ((إنَّ الملائكةَ تَنزِلُ في العَنانِ – وهو السَّحابُ–، فتذكُرُ الأمرَ قُضِيَ في السَّماءِ، فتَستَرِقُ الشَّياطينُ السَّمعَ فتَسمَعُه، فتُوحيه إلى الكُهَّانِ، فيَكذِبون معها مِئةَ كَذبةٍ مِن عندِ أنفُسِهم)).[103]

وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224).

أي: والشُّعَراءُ يتَّبِعُهم غُواةُ الإنسِ والجِنِّ، الضَّالُّونَ المتَّبِعون أهواءَهم وشَهَواتِهم، وليس القرآنُ شِعرًا، ولا محمَّدٌ بشاعرٍ. وأتباعُه هم المُهتَدون.[104]

---

(101) القَرُّ: ترديدُك الكلامَ في أذُنِ المخاطَبِ حتى يفهَمَه، وقَرُّ الدجاجةِ: صَوتُها إذا قطَّعَته.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (4/39).

(102) رواه البخاري (6213) واللفظ له، ومسلم (2228).

(103) رواه البخاري (3210).

(104) اختُلِف في الذين وُصِفوا بالغيِّ في قوله تعالى: ﴿والشُّعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ﴾ على أربعة أقوال: الأول: هم رواة الشعر.
الثاني: هم الشياطين.
الثالث: هم السفهاء.
وقالوا: نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله – ﷺ –.
الرابع: هم ضلال الجن والإنس.
ورجَّح ابنُ جرير (١٧/ ٦٧٦) مستندًا إلى دلالة العموم شمول المعنى لجميع الأقوال، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال فيه ما قال الله –جلَّ ثناؤه–: إنّ شعراء المشركين يتَّبعهم غواة الناس، ومَرَدة الشياطين، وعُصاة الجِنّ، وذلك أن الله عمَّ

كما قال تعالى: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ [يس: 69].

وقال سُبحانَه: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الحاقة: 41 – 43].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضيَ اللهُ عنه، قال: بَيْنَا نحن نسيرُ مع رَسولِ اللهِ – ﷺ – بالعَرْجِ[105] إذْ عَرَضَ شاعِرٌ يُنشِدُ، فقال رسولُ الله – ﷺ –: ((خُذوا الشَّيطانَ أو أمسِكوا الشَّيطانَ؛ لَأَنْ يَمتلِئَ جوفُ رجُلٍ قَيْحًا[106] خيرٌ له مِن أن يمتلِئَ شِعرًا)).[107]

وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((لَأَنْ يَمتلِئَ جَوفُ الرَّجُلِ قَيحًا يَرِيهِ[108] خَيرٌ مِن أنْ يَمتلِئَ شِعرًا)).[109]

بقوله: ﴿والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ﴾ فلم يَخُصَّصْ بذلك بعض الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية».

ورجَّح ابنُ عطية (٦/ ٥١٢) قول عكرمة من طريق خصيف، فقال: «وهذا أرجح الأقوال».

ولم يذكر مستندًا.

(105) العَرْجُ: قريةٌ قَريبةٌ مِن المدينةِ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (15/15).

(106) قَيحًا: أي: صديدًا ودَمًا.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) لعلي القاري (3017/7).

(107) رواه مسلم (2259).

(108) يريه: أي: يأكُلُ جوفَه ويُفسِدُه.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (14/15).

(109) رواه البخاري (6155)، ومسلم (2257) واللَّفظُ له.

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225).

أي: ألم ترَ أنَّ الشُّعَراءَ يتكلَّمونَ بالباطِلِ في كُلّ لَغوٍ ووَجهٍ مِن أوجُهِ القَولِ؛ كالمَدحِ والهِجاءِ، والرِّثاءِ والفَخرِ والغَزَلِ، يَمضُون فيه خائِضينَ حائرينَ، لا يَثبُتونَ على حالٍ؟!

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226).

أي: وأنَّ الشُّعَراءَ يقولون الكَذِبَ، فيتكلَّمونَ بما لا يَفعَلونَه في الواقِعِ.

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: 2، 3].

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227).

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا.

قال القرطبي: (هذا الحديثُ أحسَنُ ما قيل في تأويلِه: إنَّه الذي قد غَلَب عليه الشِّعرُ، وامتلأ صدرُه منه دونَ علمٍ سِواه، ولا شيءٍ مِن الذِّكرِ، مِمَّن يخوضُ به في الباطِلِ، ويَسلُكُ به مسالِكَ لا تُحمَدُ له، كالمُكثِرِ مِن اللَّغَطِ والهَذْرِ والغِيبةِ وقَبيحِ القولِ، ومَن كان الغالِبُ عليه الشِّعرَ لزِمَتْه هذه الأوصافُ المذمومةُ الدنيَّةُ؛ لحُكمِ العادةِ الأدبيَّةِ، وهذا المعنى هو الذي أشار إليه البخاريُّ في صَحيحِه لَمَّا بوَّبَ على هذا الحديثِ: بابُ ما يُكرَهُ أن يكون الغالِبُ على الإنسانِ الشِّعرَ).

((تفسير القرطبي)) (151/13).

أي: إلَّا[110] الشُّعَراءَ المؤمِنينَ الذين عَمِلوا الأعمالَ الصَّالِحَةَ، وذكَروا اللهَ ذِكرًا كثيرًا.[111]

---

(110) قال ابن عاشور: (بهذا الاستثناءِ تعيَّن أنَّ المذمومينَ هم شُعَراءُ المُشرِكينَ الذين شغَلَهم الشِّعرُ عن سَماعِ القرآنِ، والدُّخولِ في الإسلامِ).

((تفسير ابن عاشور)) (210/19).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (677/17).

(111) علَّق ابنُ عطية (٦/ ٥١٣) على قول ابن عباس من طريق علي بقوله: «وهذا كما قال لبيد حين طلب منه شِعر: إنّ الله أبدلني بالشعر القرآن خيرًا منه».

اختُلِف في حال الذِّكر الذي وصف الله به هؤلاء المستَثْنَين من الشعراء على قولين: الأول: في حال كلامهم.

الثاني: في حال شعرهم.

ورجَّح ابنُ جرير (١٧/ ٦٨٠ – ٦٨١) مستندًا إلى دلالة العموم شمول المعنى لكلا القولين، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: إنّ الله وصف هؤلاء الذين استثناهم مِن شعراء المؤمنين بذِكْرِ الله كثيرًا، ولم يَخُصَّ ذِكْرَهم الله على حالٍ دون حالٍ في كتابه، ولا على لسان رسوله، فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرًا في كل أحوالهم».

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (678/17، 680)، ((تفسير ابن عطية)) (247/4)، ((تفسير القرطبي)) (152/13)، ((تفسير ابن كثير)) (175/6، 176)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (115/14)، ((تفسير السعدي)) (ص: 600).

قال الواحدي: (أي: لم يَشغَلْهمُ الشِّعرُ عن ذِكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولم يجعَلوا الشِّعرَ همَّهم).

((البسيط)) (151/17).

وقال ابن كثير: (قيل: معناه: ذكَروا الله كثيرًا في كلامِهم.

وقيل: في شِعرِهم.

وكلاهما صحيحٌ مُكَفِّرٌ لِما سبَق).

((تفسير ابن كثير)) (176/6).

وقال البِقاعي: (لم يَشغَلْهم الشِّعرُ عن الذِّكرِ، بل بَنَوا شِعرَهم على أمرِ الدِّينِ، والانتصارِ للشَّرعِ، فصار لذلك كله ذِكرًا للهِ).

((نظم الدرر)) (115/14).

وقال ابن عاشور: (معنى: وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا أي: كان إقبالُهم على القُرآنِ والعبادةِ أكثَرَ مِن إقبالِهم على الشِّعرِ).

((تفسير ابن عاشور)) (211/19).

عن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((أصْدَقُ كَلِمةٍ قالها شاعِرٌ كَلِمةُ لَبِيدٍ: ألَا كُلُّ شَيءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ. وكاد أُمَيَّةُ ابنُ أبي الصَّلْتِ أن يُسلِمَ)).(112)

وعن سَلَمةَ بنِ الأكْوَعِ رَضيَ اللهُ عنه، قال: ((خرَجْنا مع رسولِ اللهِ - ﷺ - إلى خَيْبَرَ، فسِرْنا ليلًا، فقال رجُلٌ مِن القَومِ لعامِرِ بنِ الأكوَعِ: ألَا تُسمِعُنا مِن هُنَيْهاتِك؟(113) قال: وكان عامِرٌ رجُلًا شاعِرًا، فنزل يَحْدو بالقَومِ يقولُ:

اللَّهمَّ لولا أنت ما اهتَدَيْنا

ولا تصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

فاغفِرْ فِداءً لك ما اقتَفَيْنا(114)

وثَبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَيْنا

---

(112) رواه البخاري (3841)، ومسلم (2256) واللفظُ له.

(113) هُنَيهاتِك: أي: أراجيزك، والأُرْجوزةُ: القصيدةُ مِن الرَّجَزِ.

يُنظر: ((أعلام الحديث)) للخطابي (1736/3)، ((المصباح المنير)) للفيومي (219/1).

(114) فِداءً لك: رُوي بالرفع: «فداءٌ» على المبتدأ، وخبره، أى: نفسي فداءٌ أو فداءٌ نفسي لك، وبالنصبِ على المصدرِ.

يُنظر: ((إكمال المعلم بفوائد مسلم)) للقاضي عياض (182/6).

قيل: كأنَّه قال: نفسي مبذولةٌ لرِضاك، أو هذه الكلمةُ وقعَتْ خطابًا لسامعِ الكلامِ، وقيل: هي دعاءٌ، أي: افدِنا مِن عقابِك على ما اقترَفْنا مِن ذنوبِنا، كأنَّه قال: اغفِرْ لنا، وافْدِنا منك فداءً لك: أي: مِن عندِك، فلا تعاقبنا به.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (543/10).

واقتفينا أي: اكتسبنا.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (167/12).

وألْقِيَنْ سَكينةً علينا

إنَّا إذا صِيحَ بنا أتَيْنا[115]

وبالصِّياحِ عَوَّلوا علينا[116]

فقال رسولُ الله – ﷺ –: مَن هذا السائِقُ؟! قالوا: عامِرُ بنُ الأكوَعِ، فقال: يَرحَمُه اللهُ)).[117]

وعن أُبَيّ بنِ كَعبٍ رَضيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ الله – ﷺ – قال: ((إنَّ مِن الشِّعرِ حِكمةً)).[118]

وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا.

أي: وهَجَوا شُعَراءَ المُشرِكينَ الذين هَجَوْهم ظُلمًا، فرَدُّوا عليهم بالحَقِّ؛ انتِصارًا للمُسلمينَ، فهؤلاء المُستَثنَونَ ليسوا مِن الشُّعَراءِ المَذمومينَ.[119]

---

(115) أي: جِئْنا إذا دُعينا إلى القتالِ أو إلى الحقّ.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (466/7).

(116) أي: قصَدونا بالدُّعاءِ بالصَّوتِ العالي واستغاثوا علينا.

يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (466/7).

(117) رواه البخاري (6148).

(118) رواه البخاري (6145).

(119) قال الشوكاني: (يدخُلُ في هذا مَن انتصَر بشِعرِه لأهلِ السُّنَّةِ، وكافَحَ أهلَ البدعةِ، وزيَّفَ ما يقولُه شُعراؤُهم؛ مِن مدحِ بدعتِهم، وهَجوِ السُّنَّةِ المطَهَّرة، كما يقعُ ذلك كثيرًا مِن شُعَراءِ الرافضةِ ونحوِهم؛ فإنَّ الانتصارَ للحَقِّ بالشِّعرِ، وتزييفَ الباطِلِ به: مِن أعظَمِ المجاهدةِ، وفاعِلُه مِن المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ، المنتصِرينَ لدينِه، القائمينَ بما أمَرَ اللهُ بالقيامِ به).

((تفسير الشوكاني)) (140/4).

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنه: ((أنَّ النبيَّ – ﷺ – دخَل مكَّةَ في عُمرةِ القَضاءِ، وعبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ بيْنَ يديه يمشي، وهو يقولُ:

خلُّوا بَني الكُفَّارِ عن سَبيلِهْ

اليَومَ نَضرِبُكم على تَنزيلِهْ

ضَربًا يُزيلُ الهامَ عن مَقيلِهْ[120]

ويُذهِلُ الخليلَ عن خَليلِهْ[121]

فقال له عُمَرُ: يا ابنَ رَواحةَ، بيْنَ يَدَيْ رَسولِ اللهِ – ﷺ – وفي حَرَمِ اللهِ تقولُ الشِّعرَ؟! فقال له النبيُّ – ﷺ –: خَلِّ عنه يا عُمَرُ؛ فلَهِيَ أسرَعُ فيهم مِن نَضْحِ النَّبْلِ))[122].[123]

---

(120) الهامُ: جمعُ هامةٍ، وهي أعلَى الرأسِ.

ومَقيلِه: أي: مَوضِعِه.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (134/4).

(121) أي: يُنسي ذلك الضربُ الخليلَ عن خليلِه.

يُنظر: ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (112/8).

(122) نضْح النبلِ: أي: رمْيِه، والمراد: أن أشعارَه تُؤثِّرُ فيهم تأثيرًا أسرعَ مِن تأثيرِ النبلِ.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3018/7)، ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (112/8).

(123) أخرجه الترمذي (2847) واللفظ له، والنسائي (2873).

قال الترمذي: حسنٌ صَحيحٌ غريبٌ مِن هذا الوجه.

وأخرجه ابنُ حبان في ((صحيحه)) (5788).

وصحَّح الحديثَ ابنُ حجر –كما في ((الفتوحات الربانية)) لابن علان (148/5)–، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2847).

وعن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه: ((أنَّ عُمَرَ مَرَّ بحَسَّان وهو يُنشِدُ الشِّعرَ في المسجِدِ، فلَحَظ إليه، فقال: قد كنتُ أُنشِدُ وفيه مَن هو خيرٌ منك، ثمَّ التفَتَ إلى أبي هُريرةَ فقال: أَنشُدُك اللهَ، أَسَمِعْتَ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: أجِبْ عنِّي، اللَّهُمَّ أيِّدْه برُوحِ القُدُسِ؟ قال: اللَّهمَّ نَعَمْ)).[124]

وعن عائِشةَ رَضيَ اللهُ عنها: ((أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قال: اهجُوا قُرَيشًا؛ فإنَّه أشَدُّ عليها مِن رَشْقٍ[125] بالنَّبْلِ، فأرسَلَ إلى ابنِ رَواحةَ فقال: اهجُهم، فهجاهم فلمْ يُرْضِ، فأرسَلَ إلى كعبِ بنِ مالكٍ، ثمَّ أرسَلَ إلى حسَّان بنِ ثابتٍ، فلمَّا دخل عليه، قال حسَّان: قد آنَ لكم أن تُرسِلوا إلى هذا الأسَدِ الضَّارِبِ بذَنَبِه،[126] ثمَّ أدلَعَ[127] لِسانَه فجعَل يُحَرِّكُه! فقال: والذي بعَثَك بالحَقِّ، لأَفْرِيَنَّهم بلِساني فَرْيَ الأَديمِ،[128] فقال رسولُ اللهِ - ﷺ -: لا تَعجَلْ؛ فإنَّ أبا بكرٍ أعلَمُ قُرَيشٍ بأنسابِها، وإنَّ لي فيهم نسَبًا، حتى يُلَخِّصَ[129] لك نَسَبي، فأتاه حَسَّان، ثمَّ رجَعَ فقال: يا رَسولَ اللهِ، قد لَخَّصَ لي

---

(124) رواه مسلم (2485).

(125) رشْقٍ أي: رمْي.

يُنظر: ((إكمال المعلم بفوائد مسلم)) للقاضي عياض (528/7).

(126) المرادُ بذَنَبِه هنا: لِسانُه.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (49/16).

(127) أدلَعَ لسانَه: أي: أخرَجَه عن الشَّفَتينِ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (49/16).

(128) أي: لأمزقَنَّ أعراضَهم تمزيقَ الجلدِ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (49/16).

(129) يُلَخِّص أي: يبيِّن.

يُنظر: ((مطالع الأنوار على صحاح الآثار)) لابن قرقول (450/2).

نسَبَك، والذي بعثَك بالحقِّ لأَسُلَّنَّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعرةُ مِن العَجينِ![130] قالت عائشةُ: فسَمِعْتُ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يقولُ لحسَّان: إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يَزالُ يؤيِّدُك ما نافَحْتَ[131] عن اللهِ ورَسولِه! وقالت: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ – ﷺ – يقولُ: هَجاهم حسَّان فشَفَى واشتَفَى!))[132]. قال حسَّان:

هجَوْتَ محمدًا فأجبتُ عنه

وعند الله في ذاك الجزاءُ

هجوتَ محمدًا برًّا حنيفًا

رسولَ الله شيمتُه الوفاءُ

فإنَّ أبي ووالِدَه وعِرضي

لعِرضِ محمَّدٍ منكم وِقاءُ

---

(130) أي: لأخلصَنَّ نسبَك مِن نسبِهم، بحيثُ يختصُّ الهجوُ بهم دونك، كما أنَّ الشعرةَ إذا سُلَّت مِن العجينِ لا يبقَى منها شيءٌ فيه.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (48/16)، ((فتح الباري)) لابن حجر (554/6).

(131) نافحْتَ: أي: دافعْتَ.

والمنافَحةُ والمكافحةُ: المدافعةُ والمضاربةُ.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (89/5).

(132) فشفَى واشتَفَى: أي: شفَى المؤمنينَ، واشتفَى هو بما ناله مِن أعراضِ الكفارِ، ومزَّقها ونافَح عن الاسلامِ والمسلمينَ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (49/16).

ثَكِلتُ بُنَيَّتِي[133] إن لم ترَوْها

تُثِيرُ النَّقعَ مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ[134]

يُبارين الأعِنَّةَ مُصعِداتٍ[135]

على أكتافِها الأسَلُ الظِّمَاءُ[136]

تَظَلُّ جيادُنا مُتَمَطِّرَاتٍ[137]

تُلَطِّمُهن بِالخُمُرِ النِّسَاءُ[138]

---

(133) الثكل: فقْدُ الولدِ.

وبُنيَّتِي: تصغيرُ بنتٍ.

والمعنى: الدعاءُ على نفْسِه إن لم يغزُ قريشًا.

يُنظر: ((المفهم لما أَشْكَل من تلخيص كتاب مسلم)) للمازَري (428/6).

(134) كَنَفَيْ كَدَاءِ: أي: جانبَي كَدا، وكَدَاءُ: ثَنِيَّةٌ على بابِ مكَّةَ، وهي التي يقالُ لها الحَجُونُ، وعلى هذه الروايةِ في هذا البيتِ إقواءٌ مخالفٌ لباقيها، وفي بعض النسخ: غايتُها كَداءُ، وفي بعضِها: موعِدُها كَداءُ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (50/16).

(135) مُصعِداتٍ: أى: مُقبِلاتٍ إليكم متوجِّهاتٍ.

يُنظر: ((إكمال المُعْلِم)) للقاضي عياض (531/7).

(136) الأسَلُ: الرِّماحُ، والظِّماءُ: الرِّقاقُ أو العاطِشةُ بدماءِ الأعادي.

يُنظر: ((إكمال المعلم)) للقاضي عياض (531/7).

(137) مُتَمَطِّراتٍ: أى: سِراعًا يُسابِقُ بَعضُها بعضًا.

يُنظر: ((إكمال المعلم)) للقاضي عياض (531/7).

(138) أي: تمسحُهنَّ النساءُ بخمرِهنَّ (جمعُ خِمارٍ): أي: يُزِلْنَ عنهنَّ الغبارَ، وهذا لعزَّتِها، وكرامتِها عندَهم.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (51/16).

فإن أعرضتُمو عنَّا اعتمَرْنا

وكان الفتحُ وانكَشَفَ الغِطاءُ

وإلَّا فاصبروا لضِرابِ يومٍ

يُعِزُّ الله فيه مَن يشاءُ

وقال الله قد أرسلتُ عبدًا

يقول الحقَّ ليس به خَفاءُ

وقال الله قد يسَّرتُ جندًا

هم الأنصار عُرضَتُها(139) اللقاءُ

لنا في كلِّ يومٍ مِن مَعَدٍّ(140)

سبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاءُ

فمَن يهجو رسولَ الله منكم

(139) عُرضَتُها: أي: مقصودُها ومَطلوبُها.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (51/16).

(140) يعني بمَعَدٍّ: قريشًا، نسَبهم لمعدِّ بنِ عدنانَ.

يُنظر: ((المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)) للمازَري (430/6).

ويمدَحُه وينصُرُه سَواءُ

وجبريلٌ رسولُ الله فينا

ورُوحُ القُدسِ ليس له كِفاءُ (141)

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

أي: وسيَعلَمُ الذين ظَلَموا أنفُسَهم بالشِّركِ والمعاصي، والاعتِداءِ على حُقوقِ العبادِ؛ المآلَ السَّيِّئَ الذي سيَصيرون إليه بعْدَ مَوتِهم؛ فإنَّ مصيرَهم إلى النَّارِ.(142)

---

(141) رواه مسلم (2490).

وكِفاءُ: أي: مُماثِلٌ ومُقاوِمٌ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (51/16).

(142) قال القرطبي: (في هذا تهديدٌ لِمَن انتصَرَ بظُلمٍ، أي: سيَعلمُ الظَّالِمون كيف يَخلُصون مِن بينِ يَدَيِ الله عزَّ وجَلَّ؛ فالظَّالِمُ ينتظِرُ العقابَ، والمظلومُ ينتَظِرُ النُّصرةَ).

((تفسير القرطبي)) (153/13).

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ الحادي والعشرونَ

ويَليه المجلَّدُ الثاني والعشرونَ، وأوَّله: تفسير سُورة النملِ

الفهرس

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتْرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة إلكترونية

المُغني في التَّفسير

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا